مساهمات العلامة السيد مرتضى البلكرامى الزبيدى فى الدراسات العربية

بحث جامعى لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة

الباحث

طاهر هلال احمد لارى

تحت اشراف

البروفيسور محمد أسلم الاصلاحى

مركز الدراسات العربية و الافريقية

مدرسة الدراسات اللغوية و الأدبية و الثقافية

جامعة جواهر لال نهرو

نيودلهى -١١٠٠٦٧

٢٠٠٢

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

Date:

DECLARATION

I declare that the material in this dissertation entitled "**(Contribution of Syed Murtaza Balgarami Zabidi to the Arabic Studies)** submitted by me is original work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other university.

T. Ahmad Lari

Tahir Helal Ahmad Lari
(Research Scholar)

SUPERVISOR
Prof.M.A. Islahi

CHAIRPERSON
Prof.M.A. Islahi

MOSAHAMAT SYED MURTUZA AL-BALGARAMI AL-ZABIDI FI AL-DERASAT AL-ARABIA

(CONTRIBUTION OF SYED SYED MURTUZA AL-BALGARAMI AL-ZABIDI TO ARABIC STUDIES)

Dissertation Submitted to the Jawaharlal Nehru University in partial fulfilment of the requirements of the award of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

TAHIR HELAL AHMAD LARI

SUPERVISOR

PROF. M.A. ISLAHI

CENTER OF ARABIC AND AFRICAN STUDIES
SCHOOL OF LANGUAGE, LITERATURE AND CULTURE STUDIES
JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY
NEW DELHI – 110067
INDIA
2002

المقدمة

ان من طبيعة المسلمين توسيع آفاق علمية و ثقافية و ذلك بفضل الدين الاسلامى الذى يحث الانسان على تحصيل العلم و المعرفة و نشرهما فيعرف من له أدنى المام بالدين الاسلامى ان فهم هذا الدين لن يتحقق الا بواسطة اللغة العربية لكونها لغة القرآن والسنة و اذ انهما مرجعان أساسيان للدين الحنيف الذى كتب له الخلود ويعنى ذلك أن اللغة العربية أيضا خالدة و كذلك ليست دائرتها محدودة أو محصورة فى المناطق العربية فقط بل هى تستحق باهتمام المسلمين المنتشرين فى الربع المسكون و من هنا نلاحظ أنها جذبت و لاتزال تلفت انظار الاعاجم الذين بعض الأحيان لعبوا دورا أكثر نشطا من العرب ولهم اسهامات كبيرة فى تطوير هذه اللغة و آدابها اذ انهم قاموا بأعمال جليلة تشتمل جميع نواحى اللغة العربية .والتاريخ الاسلامى حافل بما أتى به المسلمون من الاعاجم من ابداعات و ابتكارات وعجائب مدهشة للعقول فى مجالات شتى من العلوم و الفنون والادب واللغة .

الهند بلادنا الحبيبة الغارقة فى القدم تحتل مكانة مرموقة فى العلم و الحكمة والحضارة والثقافة لقد تولى مقاليد هذا البلد المسلمون عدة قرون وفى خلال هذه الفترة انهم تركوا بصمات عريقة فى المجالات المختلفة بما فيها العربية و آدابها مع كون هذه البلاد بعيدة عن مهد اللغة العربية و من الجدير بالاشارة هنا الى ان الهند والعالم العربى كانت على علاقة وثيقة منذ

القدم وتوطدت هذه العلاقة بعد دخول الاسلام فى هذه الأرض بواسطة التجار العرب والفتوحات الاسلامية و قوى التبادل الثقافى والحضارى واللغوى بينهما بعد ما استوطن عدد كبير من العرب والمسلمين العجم فى الهند فسافر عدد قليل من علماء الهند الى عاصمة الخلافة الاسلامية بغداد وهكذا بدأ الانتاج العلمى والأدبى واللغوى يزدهر فى أرض الهند.

و قد أنجبت الهند رجالا اعترف لهم علماء العرب بجلالة قدرهم وعظمة مكانتهم و عكفوا على كتبهم و مؤلفاتهم يقتبسون ويستدلون بها ذلك لان العلماء المسلمين الهنود خاضوا فى اكثر مجال من مجالات العلم والمعرفة مع الاعتناء الخاص بالموضوعات الاسلامية من التفسير و الحديث و الفقه والتصوف وما الى ذلك .و خلفوا آثارا خالدة فى هذه الموضوعات والمعانى .

و قاموا بجهود مخلصة لخدمة اللغة العربية وآدابها و فالفوا الكتب والرسائل فى هذة اللغة كما انهم اعدوا معاجمها و قواميسها لانهم كانوا يعرفون جيدا ان أكبر الوسائل للحفاظ على لغة ما هى قواميسها ومعاجمهاولاريب فى أن اللغة العربية تمتاز فى هذا الخصوص وتوجد فيها عدة معاجم لا يوجد لها نظير فى اللغات الأخرى وأن للعرب أسبقية فى تدوين وتطوير المعاجم فى الاسلوب المنطقى السهل.وتكفينى الاشارة على سبيل المثال الى "لسان العرب " لابن منظور و"المخصص" لابن سيدة لأنهما فى الحقيقة موسوعتان للكلمات ودقائقها و طبيعة اللغة وخفاياها كأن اللغة تنطق بنفسها و كذلك "فقه اللغة " للثعالبى و"الالفاظ الكتابية

لـلهـمـدانـى و"الـقـامـوس الـمحيط" لمجد الدين الفيروزآبادى و قدنال هذا الـقـاموس أى "القاموس المحيط" سمعة و شعبية واسعة فى الحلقات العلمية و الادبية و الـدراسية مـا جعلته يتفوق على المعاجم الاخرى و قد زاده مكانة و اعتـزازا "تـاج الـعروس " فى شرح القاموس "للعلامة السيد مرتضى حسين بن مـحـمـد البـلـكـرامى الزبيدى و حسب تعبير السيد أبى الحسن على الحسنى الـنـدوى "تاج العروس ليس معجما فقط بل أنماهى مكتبة صغيرة للمعاجم" .ومن الجدير بالذكر هنامساهمات علماء الهند لا تقل أهمية و شأنا فى علم الـلـغة و الـلسـان و أول مـن الف فـى هـذا الـمـوضوع هو الشيخ رضى الدين الـحسن بن الحيدر الصغانى صاحب "العباب الزاخر" فللعلماء الهنود فى هذا الـمـجـال حوالى ٢٨ كتابا باللغة العربية الى جانب عدد كبير من الكتب على هـذا الـمـوضـوع بـاللغة الفارسية و الاردوية و من بين ذلك أشهر كتبهم باللغة الـعـربية "تـاج الـعـروس" الـذى ذكـرته آنفا و مؤلف هذا المعجم هو السيد مـرتضى بنْ محمد الحسينى الذى كان نادر عصره بارعا فى علم اللغةو البيان و الانسـاب و الـحـديث و التصوف.و كتابه تاج العروس خير دليل على علوه كـعبـه و رسـوخ قدمه فى علم اللغةو قد ولد هذا الفذاللغوى العبقرى فى بلدة "بـلكرام" التى هى منطقة علمية شهيرة فى ولاية اترابراديش .و أكمل دراسته الابتـدائية فـى البلدة المذكورة و ما جاورهامن المدن و الامصار .و أخيرا قاده نهـمـه العلمى الى بلاد اليمن و مصر حيث تم احتكاكه بالشخصيات العلمية و الادبية البـارزة وقـام بتـأليف كتابه "تاج العروس" فى شرح القاموس الذى جـعـل الـعرب يقولون : "هذا شئ عجيب" فقد ذاع صيته بمنتهى السرعة فى

أكثر أرجاء العالم الاسلامى وكفى لمؤلف هذا المعجم عزة ومكرمة أن الخليفة العثمانى و سلطان دارفود و ملك التمغرب طلبوا منه نسخ هذا المعجم و كذلك أمير اللواء محمد بن أبوذهب وضعه فى مكتبة مسجده الذى أنشأه بالقرب من الازهر .

انه من السعادة لى اذاننى أخترت هذه الشخصية الفذة ومساهماته القيمة فى الدراسات العربية موضوعا لأطروحتى لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة (M.Phil)ومن الملاحظ هناأن الكتب و المباحث و المقالات حول هذه الشخصية العبقرية متوفرة بلغة "اردو" ولكن الى حد معرفتى المواد والمعلومات عن هذا الموضوع باللغة العربية لاتوجد الا بقدر قليل ففى رسالتى هذه قدبذلت قصارى جهودى للاحاطة بالجوانب المختلفة لهذه الشخصية العبقرية الفذة باللغة العربية .

وتحقيقا لهذا الهدف هذه الرسالة قسمت الى ثلاثة أبواب فالباب الاول والثانى يشتملان على ثلاثة فصول والباب الثالث على فصلين .وتناولت فى الباب الاول الاوضاع الاجتماعية والثقافية فى الهند التى نشأ وترعرع فيها السيد مرتضى البلكرامى ثم الزبيدى وكذلك ناقشت فى هذا الباب مستوى الدراسات العربية فى عهد المغول و دور المدارس فى تطوير اللغة العربية فى هذا العهد و الخلفية التاريخية لمنطقة بلكرام.وفى الباب الثانى قمت بالبحث عن حياة العلامة السيد مرتضى البلكرامى الزبيدى و انجازاته العلمية وفى الباب الثالث القيت الضوء على تطور المعجم والقاموس وفى هذا الخصوص قمت بدراسة نقدية لتاج العروس شرح القاموس.

قبل الختام اتقدم بجزيل الشكر والامتنان الى أستاذى ومشرفى الكريم البروفيسور محمد أسلم الاصلاحى الذى أخذ بيدى فى اعداد هذا البحث وأرشدنى فى كل مرحلة من مراحله بأرائه القيمة وأفكاره النيرة وفى الحقيقة لم يكن بامكان ان انجز هذا العمل بدون توجيهاته و ارشاداته وكذلك اقدم اجزل الشكر والتقدير لجميع الاساتذة الاجلة الآخرين العاملين فى مركزلدراسات العربية والافرقية وأخيرا وليس بآخرأشكر لزملائى و أصدقائى المخلصين الذين ساعدونى فى اعداد هذه الرسالة ووفروا لى الفرصة لاكمالها ومن بين هولاء الاصدقاء اخص بالذكر السيد محمد اطهر افضال والسيد محمد أكمل والسيد رياض الدين .وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت و اليه أنيب.

طاهر هلال أحمد لارى
٢٠٥-جهيلم هاستل
جامعة جواهر لال نهرو
نيو دلهى ١١٠٠٦٧
١٨/٧/ ٢٠٠٢

الباب الأول

الاوضاع الثقافية و الحضارية فى عصر العلامة السيد مرتضى البلكرامى الزبيدى

الفصل الأول

العلوم العربية في عصر المغول

الفصل الأول

العلوم العربية في عصر المغول

ان لبلادنا الهند شهرة فى مجال العلم و الحكمة منذ قديم الزمان فهى كانت و لاتزال منهلاً للثقافة و المعرفة و موردا للقصص و الأساطير فعند ما تم احتكاكها بثقافة المسلمين و علومهم الادبية و العلمية و الفنية أصبحت هذه الارض المباركة مرجعا للخلائق وموطنا للعلماء والمفكرين و خير دليل على هذا القول وجود المدارس الدينية والمراكز العلمية والمناهل الادبية المنتشرة فى أكثر أنحاء البلاد فخرجت منها العلماء الفطاحل والادباء الأفاضل والشعراء ذوى المواهب العظيمة وفى هذا السباق قد أشار اليه السيد ابو الحسن على الحسنى الندوى فن كتابة "المسلمون فى الهند"

"قد أنجبت الهند رجالا شهد لهم علماء العرب بالفضل وعكفوا على كتبهم و مؤلفاتهم ينقلون و يقتبسون و يستدلون و يحتجون وقد أنجبت كذلك علماء يندر نظيرهم فى الذكاء و خصوبة الفكر والابتكار العلمى و أنجبت كذلك فضلاء لا يضارعون فى كثرة المؤلفات و الانتاج و قد أنجبت من الملوك رجالا ينفردون فى حسن سياستهم و تنظيمهم للدولة و سن القوانين العادلة و فى فضائلهم الخلقية و العلمية و الجمع بين الدين والدنيا." (١)

و قد اعترف أيضا جواهر لال نهرو فى كتابه "العثور على الهند Discovery of India "بتأثير المسلمين الواسع العميق فى العقلية الهندية وفى المجتمع الهندى فى حضارة هذه البلاد فيقول:

"بعد دخول الاسلام والشعوب الاخرى فى الهند حاملة معها أفكارا جديدة ومناهج متنوعة للحياة قد خلف ذلك تأثيرا فى فكرة الهند وعقيدتها ونظامهما الاجتماعى اذن (الفتح الاجنبى) على ما فيه من علات ومساؤى لا يخلو من فائدة عظيمة وهى

أنه يوسع أفاق فكرية الشعب المفتوح ويخرجه من الحصار الذى أقامه حوله هذا يودى الى فهمهم عن الدنيا ووسعتها وتنوعها و أنواعها المختلفة أكثر مما كانوا يفهمونها أو يتصورون عنها وكذلك حدث فى الهند فأن الفتح الافغانى أثر تاثيرا بليغا فى تطورات كثيرة فى حياة الهنود وكانت التطورات ذات أبعاد كثيرة بعد دخول المغول فى الهند لانهم كانوا عمق ثقافة و أرقى من الافغان وقد قاموا لتعميم الاناقة التى كانت من ميزات ايران."(٢)

فنرى ان اللغة العربية تطورت و تقدمت و نمت فى الأزمان المختلفة لسلاطين الهند المسلمين فى الهند و بعد هذا التوضيح أود ان استعرض بالايجاز أحوال اللغة العربية والعلوم العربية و تطورها و ازدهارها فى زمن المغول الذى يمتد من القرن السادس عشر الى التاسع عشر والنصف للميلاد و يجدر بالذكر هنا ان اللغة العربية لم تكن أبدا لغة رسمية للحكومة الغولية و مع ذلك الفت فى هذه الفترة كثير من الكتب النادرة والمؤلفات الضخمة التى نالت قبولا حسنا فى بلاد الهند و خارجها و هذا الامر ينم عن عناية سلاطين المغول و اهتمام علماء تلك الفترة باللغة العربية . فنرى كثيرا من كبار العلماء قد برزوا و برعوا فى ذلك العهد بل صنعوا العجائب و أتوا بالمعجزات باللغة العربية فخدماتهم الجليلة و مساهماتهم العالية لا تزال تتذكرها الأزمان وتسجلها صفحات التاريخ .و يقول الدكتور زبيد أحمد عن تطور اللغة العربية فى عهد المغول :

"أننا لنجد عددا من مؤلفى العربية أكثر مما نجده فى عهد أى حكومة أخرى من الحكومات التى فرضت سيادتها على الهند و بعض من مؤلفى هذا العصر لهم أسماء مستعارة و أسماء شهرة كما كان الحال خارج الهند و قد حظيت مصنفات باحثى

هذا العصر بتقدير عظيم فى الهند و مصر و تركيا."(٣)

فمما لاشك فيه أن الكتب النادرة مثل " سواطع الالهام " و "موارد الكلم " لفيضى شاعر بلاط الملك المغولى أكبر و "أخبار الأخيار " للمحدث الكبير عبد الحق الدهلوى فى زمن الملك الآنف الذكر و هكذا "الفتاوى الهندية ' التى الفت فى عهد اورنك زيب هى أكبر دليل على اللغة العربية فى الهند فى عصر المغول . تجدر الاشارة هنا الى ان الكتب المذكورة تعتبر حتى يومنا هذا من أهم المصادر و المراجع العربية للباحثين و المحققين و من المعلوم أن الدولة المغولية فى زمن اوجها و ذروة كمالها كانت تشجع ابناء بلادها على تحصيل العلم و المعرفة فبرز فى فترة قصيرة عدد كبير من العلماء و الفضلاء و البلغاء الذين اسهموا فى تطور اللغة العربية و هنا نخص بالذكر الشيخ المحدث على بن حسام الدين المتقى الذى ولد فى مدينة برهانفور سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م و سافر الى الحجاز و توطنها ثم رجع الى الهند فى أيام محمود شاه الصغير الكجراتى و لهذا المتقى مؤلفات كثيرة قرابة مائة مؤلف ما بين صغير و كبير و من أشهر مؤلفاته "كنز العمال فى سنن الاقوال الافعال " و هو ترتيب "جمع الجوامع " للسيوطى فقد رتب المتقى أحاديث جمع الجوامع باعتبار حروف الهجاء تحت الابواب الفقهية فاستفاد منه المحدثون الفقهاء على السواء فيقول الشيخ ابو الحسن البكرى الشافعى عن هذا الكتاب ان السيوطى منة على العالمين وللمتقى منه عليه.(٤)

و منهم المحدث اللغوى الشيخ محمد بن طاهر بن على الحنفى الفتنى الذى ولد فى مدينة نهروالە سنة ١٥٧٦م ٩٦٦هـ و نشأ و ترترع فى غجرات و حفظ القرآن و درس على علماء مشهورين فى دولة غجرات و له مصنفات جليلة ممتعة أشهرها

"كتابه مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل و لطائف الأخبار"فى مجلدين كبيرين و جمع فيه الشيخ محمد بن طاهر جميع الاحاديث النبوية الغربية و ما ألف فيها فأصبح هذا الكتاب كالشرح للصحاح الستة و العلماء الفقهاء المحدثون يتفقون على صحبته و دقته فنال هذا الكتاب قبولا واسعا منذ رأى النور وهكذا له منة عظيمة على أهل العلم و الدين و منها تذكرة الموضوعات فى مجلد كبير و منها المغنى فى أسماء الرجال .(٥)

يقول الدكتور زبيد أحمد عن كتاب مجمع بحار الأنوار"هو تقريبا معجم كامل الحديث و القرآن والكلمات فيه مرتبة حسب نظام الحروف الأصلية وهو يذكر كل المشتقات التى تخطر بالبال لأصل كل كلمة مستعملة فى متن الحديث و لا يقتصر على ذكر معانى الكلمات و انما يشرح أيضا المبهمة فى الأحاديث وهذا العمل يفوق كل الأعمال السابقة من نوعه".(٦)

ومنهم الشيخ أبو الفيض بن المبارك الناكورى الذى أسهم فى الشعر واللغة و التاريخ و التفسير فكان الشيخ ابوالفيض أديبا بارعا فى اللغتين الفارسية و العربية هو أيضا من شعراء البلاط فى قصر الملك المغولى أكبر و قد برع وتفوق فى الكتابة باللغة العربية حيث ألف "سواطع الالهام"فى تفسير القرأن الكريم واستعمل فيه صنعة الاهمال فلم يرد فيه أى كلمة منقوطة والكتاب الآخر "موارد الكلم و سلك درر الحكم " بنفس الصيغة وان هذين الكتابين ان دلا على شئ فانما يدلان على قدرته الفائقة على اللغة العربية .

و منهم الشيخان عبد الله السلطانبورى و عبد النبى بن أحمد الكنكوهى و كلاهما حظيا بمنزلة عالية و مكانة رفيعة فى بلاط الملك أكبر فقد لقب الملك أكبر الاول

بمخدوم الملك الثانى بصدر الصدرو ولهما مؤلفات مقبولة رفيعة الشأن و للشيخ عبد الله السلطانبورى مصنفات عديدة منها "كشف الغمة ومنهاج الدين و عصمةالأنبياء و شرح عقيدة الحافظية ورسالة فى تفصيل العقل على العلم و له غير ذلك من الرسائل .(٧)

ومنهم الشيخ زين الدين بن عبد العزيز المعبرى و الشيخ محمد بن عبد العزيز المعبرى و لهذين الاخوين مؤلفات مشهورة فى النثر والنظم فان الشيخ زين الدين كتب "تحفة المجاهدين " فى أعمال و حوادث البرتغاليين الذين دخلوا منطقة جنوب الهند فى عام ١٤٩٨م /٩٠٤هـ ولأخيه محمد بن عبد العزيز أرجوزة فى نحو خمس مائة بيت فى نفس الموضوع باسم "الفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين يكتب الدكتور زبيد أحمد عن هذه الارجوزة كما يلى :

"نظم شاعرنا و صفا لحروب الزامورين ضد البرتغاليين بقيادة فاسكو دى جاما فى قصيدة طويلة تحتوى على خمس مائة و ثلاثة أبيات من بحر الرجز تحت عنوان " الفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين" وموضوع بحث هذه القصيدة هو موضوع بحث كتاب "تحفة المجاهدين " لكن الاولى فى الشعر والثانية فى النثر.(٨)

و منهم الشيخ أحمد بن الأحد السرهندى (٩٧١-١٠٣٤هـ)الملقب بالمجدد للالف الثانى الذى حفظ القرآن فى صباه و درس العلوم الرائجة و تفرغ منها حين كان هو ابن سبعة عشر عاما واشتغل بالتدريس والتصنيف و كافح فى سبيل الشريعة الاسلامية وقد سجن فى أيام جهانكير و لكن مساعيه و حكمته ساعدته فى تغيير اتجاه الدولةو جعلت دفة الحياة تدور على ما كانت تدور عليه من قبل . ومن

مصنفاته "الرسائل التهليلية" و رسالة فى اثبات النبوة و "رسالة فى المبدأ والمعاد"، رسالة أخرى فى موضوعات مختلفة وله مكتوبات مشهورة فى ثلاثة مجلدات.

و أما الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوى (٩٥٨_١٠٥٢هـ) فان الفضل يرجع اليه فى نشر علم الحديث فى شبه القارة الهندية و له شروح على كتب الحديث و قد كتب شرحا باسم "لمعات التنقيح فى شرح مشكوة المصابيح" و مقدمته لهذا الكتاب تدل على غزارة علمه و تعمقه فى علم الحديث والتى تحدث فيها عن أصول الحديث و مصطلحات علم الحديث ويقول الدكتور زبيد أحمد عن هذا الشرح "هذه الحاشية و اسعة قيمة فيها شروح لغوية و دقائق نحوية و مشاكل فقهية وسلاسل روايات للحديث الواحد و أصول مأخذه والتلفظ الصحيح لاسماء ألقاب الراوة .(٩)

ومن علماء هذا العصر الشيخ عبد الحكيم السيالكوتى (المتوفى سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) الذى ولد و نشأ بمدينة سيالكوت فى بلاد بنجاب و درس على الشيخ كمال الدين الكشميرى و ذاع صيته فى الأفاق و كان الملكّ جهانكير يقدره و يحترمه لأجل علمه و ثقافته و أنعم عليه الملك شاهجهان انعاما كبيرا على التدريس والتأليف قد جمع الفضائل بفضل جهده و حاز العلوم والفنون وانفرد و أفنى كهولته و شيخوخته فى الانهماك على العلوم وحل دقائقها و مضى من جليها و غامضها على حقائقها و ألف مؤلفات عديدة ذات اهمية قصوى.

ومن أشهر مؤلفاته "حاشية على تفسير البيضاوى و لاشك فى ان تفسير البيضاوى قد حظى بكتابة حواشى هندية كثيرة و لكن حاشية الشيخ عبد الحكيم السيالكوتى تمتاز بحيث انها تقدم ملاحظات لغوية و نحوية و تفسيرية على الكلمات

والأساليب الصعبة التى وردت فى تفسير البيضاوى.

ومنهم الشيخ محمود الجونبورى (٩٩٣-١٠٦٢هـ)الذى كان غاية فى الذكاء والفطنة و سيلان الذهن و قدوة الحفظ والادراك وكان له باع طويل فى الحكمة و المعانى و البيان و كان له خبرة واسعة فى الطبيعات و ما بعد الطبيعات و له مؤلفات عديدة و من أشهرها "الشمس البازغة" فى الحكمة وله شروح و تعليقات على كتب المنطق و الفلسفة .(١٠)

ومنهم القاضى محب الله بن عبد الشكور البهارى المتوفى ١١١٩هـ الذى كان اماما فى المعقولات و علم اصول الفقه و قد ذاع صيته لأجل كتابيه المشهورين أولهما "مسلم الثبوت"فى أصول الفقه و حظى هذا الكتاب الواسع فى الاوساط العلمية و المدرسية فى الهند وبلاد الاسلام فتناوله كبار العلماء فى عصورهم للتدريس والشرح و ثانيهما "مسلم الثبوت"فى علم المنطق.

ومن هولاء العلماء الشيخ أحمد بن أبى سعيد ألاميتهوى المعروف بملاجيون و لد الملاجيون ولد الملا جيون سنة ١٣٠٧هـ ونشأ فى حجر أبيه و حفظ القرآن الكريم فى صغره واشتغل بالعلم حتى فرغ منه و هو ابن اثنين و عشرين عاما و بدأ يدرس و يصنف و فى اواخرعمره الى الحرمين الشرفين وتشرف بالحج المبارك ثم رجع وحج وعاش فى عهد الملوك عالمكير وشاه عالم وفرخ سير.

ومن مصنفاته المشهورة كتاب فى تفسير آيات الأحكام باسم "التفسيرات الأحمدية فى بيان الآيات الشرعية" المعروف بالتفسير الأحمدى" وكتاب ,, نور الأنوار فى شرح المنار' للنسفى فى أصول الفقه و كتاب ,, السوانح "على منوال اللوائح للجامى (١٤١٤-١٤٩٢م)و"مناقب الاولياء" فى أخبار المشائخ ورسائل

أخرى.

و من مآثر الملك اورنك زيب عالمكير(١٦١٨-١٧٠٧م/١٠٩١=١١١٨هـ) "الفتاوى العالمكيرية" التى تسمى بالفتاوى الهندية فى الديار العربية و هذه المجموعةفى سته مجلدات كبار رتبها نحو أربعين عالما و فقيها على ترتيب الكتاب المعروف فى الفقه أى "الهداية" و كان يرأسهم الشيخ نظام الدين البرهانفورى فهذه المجموعة منةعظيمة للملك المذكور آنفا على الامة الاسلامية .

و كان هذا الملك من أخر الملوك من السلسلة المغولية بلغ الحكم المغولى فى عهده الى الذروة الذين تولوا بعده السلطة من هذه الاسرة ماكانوا على مستوى عال فى القوة والشكيمة و فى النظم والادراة ولم يحسوا الخطر الذى دهم حكمهم من القوات الاستعمارية من الانجليز و الفرنسين و البرتغاليين التى كانت تدب دبيب الأخطبوط و كانت تمتص الدماء التى كانت تجرى فى عروق الدولة التيمورية فبدأ الحكم المغولى يضعف و ينهار حتى سقط أخيرا سنة ١٨٧٤م و لكن رغم ضعف الحكم المغولى فى الهند ورغم أن ساءت الظروف السياسية و الاجتماعية لم يتوقف العلماء المسلمون عن اسهاماتهم فى خدمة الدين الاسلامى و فى رفع رأية العلم والادب فى هذه الدولة و أن العمل الانتاجى فى اللغة العربية و أدابها و علومها لم يتأثر بالظروف القاسية التى عاش فيها العلماء بل ربما دارت دفتها بقوة أكبر و سارت عجلتها بسرعة أكثرولقد زادنا ايمانا بحفظ هذا الدين وجود علماء كثيرين ألفوا كتبا عديدة فى اللغة العربية و نذكر هنا على سبيل المثال العلماء الممتازين واسهاماتهم الذين ولدوا اما فى عهد انحطاط الدولة المغولية أو عاشوا فترة فى الدولة المذكورة وقاموا بخدمة الدين الحنيف بما فيه اللغة العربية و آدابها .

فمنهم الشيخ عبد الجليل البلكرامى الذى توفى فى عام ١١٣٨هـ ببلدة بلكرام و قرأ العلوم الابتدائية فى وطنة أى بلدة بلكرام ثم سافر الى البلاد الاخرى و استفاد عن الاساتذة المشهورين ولما سافر الى الدكن و لاه الملك اورنك زيب منصبا لتحرير الوقائع و كان يتقن اللغة العربية اتقانا تاما و كان له شغف بالادب العربى و كذلك كان بارعا فى التفسير و الفقه والحديث و يقول صاحب نزهة الخواطر عنه و كان عالما بارعا فى المعانى والبيان والبديع والحديث والتفسير والسير و أسماء الرجال والتاريخ .أما اللغة فلا تسئل فانه كان معدن جواهرها و لجة عنابرها و كا ن يعرف اللغة العربية و الفارسية والتركية والهندية أحسن معرفة و يتكلم بها فى غاية الفصاحة و ينشد فى كل منها و قوله بالعربية :(١١)

يا صاح لاتلم المتيم فى الهدى

هو عاشق لا ينثنى عن خله

يأبى الدواء سقامه كعيونه

فعلى الطبيعة يا معالج خله

و منهم الشيخ محمد أعلى العمرى التهانوى ( ) الذى قرأ النحو والعربية على والده و جمع الكتب فصرف شطرا من الزمن على مطالعتها والتقط منها المصطلحات و جمعها فى كتاب سماها "كشاف اصطلاحات الفنون" و يقول الشيخ ابو الحسن الندوى عن هذا الكتاب :

"و هو كتاب عظيم النفع تلقاه المشتغلون بالعلم فى بلاد العرب بالقبول و أثنوا عليه لأنه كمعجم للمصطلحات العلمية يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات و مئات من الكتب هذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شدة الحاجة اليه و لايزال

المرجع الوحيد للفضلاء والمؤلفين والباحثين فى هذا الشأن .(١٢)

ومن العلماء الممتازين الذين ذاع صيتهم فى الأفاق بسبب علمهم و ثقافتهم و بسبب خدماتهم الجليلة للعلوم الاسلامية العربية الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهالوى (المتوفى ١١٠٣هـ)الذى استوطن لكناؤ اذا أعطاه الملك عالمكير بن شاهجهان قصرا بتلك المدينة الذى يسمى بفرنكى محل و ان الشيخ السهالوى درس و أفاد وطارت مصنفاته فى حياته الى الامصار والبلاد و تلقى منهجه الدراسى الذى أعده بجهد و مشقة قبولا واسعا فى المدارس الدينية فانتهت اليه رئاسة تدريس العلوم الاسلامية فى أكثر بلاد الهند .(١٣)

ومن أهم مؤلفاته "شرح مسلم الثبوت " و"شرح منار الأصول" و شرح تحرير الأصول" و "شرح الرسالة المبارزية فى العقائد الاسلامية .

و أما الشيخ الامام قطب الدين أحمد ولى الله بن عبد الرحيم العمرى الدهلوى (١١١٤-١١٧٦هـ/١٧٠٢-١٧٦٢م) فكان هو آية من آيات الله فى العلم والحكم لاريب فى أن الامام الدهلوى كان أعظم عالم و محدث و صوفى فى بلاد الهند فى عصره .ولد عام ١١١٤هـ١٧٠٢م فى أيام عالمكير و كان والده من كبار المشائخ فى عصره بدلهى و أكمل تعليمه التقليدى فى السادسة عشر من عمره و بايع على يد و الده وبدأ يدرس بعد وفاة والده فى المدرسة الرحيمية التى أسسها والده و كان فصيحا فى العربية والفارسية فخلف كثيرا من المؤلفات التى تعالج الحديث والفروع الأخرى من العقائد الاسلامية و ليست شهرته مقصورة على الهند وحدها بل ذاع صيته فى العالم الاسلامى كله و تكمن عظمته فى أنه كان متبحرا فى سائر فروع العلوم الاسلامية و كان أيضا صوفيا و صدق "صديق حسن خان اذا يقول

"لو أن ولى الله عاش فى عصرمبكر لنظر اليه بصفة امام عصره ".(١٤)

للامام الدهلوى عدة تصانيف تعتبر الغاية فى السمو العقلى و الدينى وأهمها "حجة الله البالغة"الذى يميط اللثام عن أسرار الشريعة و رموزها و لم يتكلم فى هذا العلم ومن الجدير بالذكر انه أحد قبله على هذا الوجه من تأصيل الأصول و تفريع الفروع و تمهيد المقدمات و المبادى و استنتاج المقاصد.(١٥)

يقول الشيخ أبو الحسن الندوى عن هذا الكتاب "مما يجب الاشارة اليه أن هذا الكتاب يتسم بفصاحة العربية و قوة العبارة وانسجامها و بعد عن السجع البارد و تقليد أسلوب الحريرى الذى كان متفشيا فى عصره و مصره . وقلما نجا منه مؤلف و كاتب فى القرون الأخير وهو يعد بحق المثال الثانى للنثر الطبعى السلسال و التعبير العلمى بعد مقدمة ابن خلدون فى عصور انحطاط العربية و غلبة العجمة و الصناعة على الكتاب والمؤلفين فى العالم الاسلامى .(١٦)

ومن مؤلفاته الأخرى فى اللغة العربية "فتح الخبير" و البدور البازغة " و" الخير والشر" و "التفهيمات الالهية " (فى العربية و الفارسية) و "فيوض الحرمين " و المسوى فى أحاديث المؤطا" و النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر " و الفضل المبين فى المسلسل من حديث النبى الأمين " و "أربعون حديثا " و "الدرر الثمين فى مبشرات النبى الأمين " و ارشاد فى مهمات علم الاسناد و"تراجم أبواب البخارى " و "السر المكتوم فى تدوين العلوم" و له مؤلفات أخرى كثيرة فى اللغة الفارسية وتشتمل هذه المؤلفات فى علوم التفسير والحديث و الفقه .

وكان الشيخ ولى الله شاعرا فذا باللغة العربية فقد جمع الاعجاب والسحر فى رقة اللفظ ومعناه و صفاء المورد و مغناه و له عدة قصائد فى مدح النبى صلى الله عليه

وسلم نشرت فى ديوانه مع شرح الشاعر نفسه فى اللغة الفارسية ومن أبياته :

و تشغلنى عنى و عن كل راحتى

مصائب تفقو مثلها فى المصائب

اذا ماأتتى أزمة مدلهة

تحيط بنفسى من جميع جوانب

فلست أرى الا الحبيب محمدا

رسول اله الخق جم المناقب

ومنهم الاديب المشهور الذى يعتبر بحق شاعر العربية فى الهند و هو الشيخ غلام على آزاد البلكرامى (١١١٦_١٢٠٠هـ/١٧٠٤_١٧٨٥م) و كان العلامة آزاد البلكرامى عالما منقطع النظير فى النحو و اللغة و الشعر البديع والتاريخ و السير والانساب فى عهده .وله مؤلفات عديدة ممتعة و من أشهرها "ضوء الدرارى شرح صحيح البخارى " و "شفاء العليل" نقد شعر المتنبى و "مرآة الجمال " فى وصف أعضاء المعشوقة من الرأس الى القدم و "شمامة العنبر" و"سبحة المرجان فى أثار هندستان " و "السبعة السيارة " والمؤلفان الأخيران من أشهر مؤلفاته قد ذكر آزاد أوجها الجمال الادبى والصو ر البلاغية البديعية و كان مولعا بالابتكارات البديعية وأدخل الى الادب العربى بعد المحسنات البديعية من اللغة السنسكريتية والهندية .

ومنهم الشيخ باقر بن مرتضى المدراسى(١١٥٨_١٢١٥هـ/١٧٤٥_١٨١٠م)و هو أول من نقل العلوم الدينية من العربية الى الهندية بناحية مدراس و كانت له يد طولى فى معرفة النحو و الصرف(١٧) ومن مؤلفاته بالعربية "تنوير البصر و البصيرفى الصلاة على النبى البشير النذير" و نفائس النكات" و "

العشرة الكاملة " (القصائد العشر على نهج المعلقات) و مقامات (مثل مقامات الحريرى) و كانت له مهارة تامة باللغات الثلاث العربية و الفارسية و الاردية له قصائد و أبيات فى هذه اللغات الثلاث و من أبياته بالعربية .(١٨)

قد صيرنى الهوى جذاذا

يا ليتنى مت قبل هذا

ما أفعل لم أجد لأهى

فى صغر فؤادها نفاذا

و منهم القاضى ثناء الله البانى بتى المتوفى ١٢٢٥هـ الذى كان فقيها أصوليا زاهدا مجتهدا و كان له المام كبير ويد طولى فى الفقه و التفسير و الزهد ومن مؤلفاته المشهورة "التفسير المظهرى " فى سبعة مجلدات و كتاب " مالا بد منه" فى الفقه الحنفى الذى لايزال يدرس فى مدراس النظامية و له مؤلفات أخرى أيضا.

و منهم الشيخ عبد العلى الملقب بـ "بحر العلوم " اللكهنوى المتوفى ١٢٢٥هـ الذى كان معدوم النظير فى زمانه و كان له باع طويل فى الفقه و اصوله وفى المنطق و الحكمة والكلام و له مصنفات عديدة مشهورة فى الاوساط العلمية والثقافية فى الهند وفى البلاد الاسلامية الاخرى و كلها فى المنطق والفقة وفى أصول الفقه و فى الفلسفة و الحساب .

ومنهم الشيخ عبد العزيز بن ولى الله الدهلوى (١١٥٩_١١٣٩هـ/١٧٤٦ _ ١٧٣٤م)الذى كان نسيج و حده فريدا عصره فى اللغة والعلوم الاسلامية و كان ايضا شاعرا بارعا و له مصنفات عديدة ومن أشهرها تفسير بعض أجزاء القرن المسمى بـ "فتح العزيز" و "الفتاوى العزيزية " فى الهند " تحفة اثناء عشرية " فى الرد

على العقائد الشيعية و " بستان المحدثين " و كتب أخرى.

و منهم الشيخ أحمد بن محمد اليمنى الشروانى المتوفى ١٧٨٦م الذى كان مشهورا فى الانشاء و قرض الشعر باللغة العربية و من أشهر مؤلفاته "نفحة اليمن فيمايزول بذكره الشجن" ويعتبر هذا الكتاب من أجود المجموعات فى النثر و الشعر فى شبة القارة الهندية و هو فى المقررات الدراسية للمدارس النظامية منذ زمان غير قصير.

ففى ضوء ما كتبنا حتى الآن يمكن لنا القول بأن عهد ملوك المغول يستحق جميع الثناء و التقدير اذ انه انجب عديدا من جهابذة العلماء و الادباء و الفقهاء و البلغاء و المحدثين و المتكلمين و الحكماء لم يألوا جهدا فى خدمة العلوم الاسلامية بما فيها اللغة العربية و آدابها.

Jawaharlal Nehru Univ
Lib

١ـ المسلمون فى الهند ص ٧:ابو الحسن الندوى

٢ـDiscovery of Indai :Page No 11.Jawaharlal Nehru

٣ـالأداب العربية فى شبه القارة الهندية ص ٤٣:الدكتور زبيد أحمد

٤ـنزهة الخواطر ج ٤ ص ٢٠٨:عبد الحئى

٥ـنفس المرجع ج ٤ ص ٣١٠:عبد الحئى

٦ـالترجمة العربية فى شبة القارة الهندية ص ٩١ـ٩٢:الدكتور زبيد أحمد

٧ـنزهة الخوطر ج ٤ ص ٢٠٨:عبد الحئى

٨ـتاريخ الآداب العربية ص ٢٤٢ـ٢٤٣:الدكتور زبيد أحمد

٩ـالآداب العربية ص ٤٥:الدكتور زبيد أحمد

١٠ـنزهة الخواطر ج ٥ ص ٣٩٨:عبد الحئى

١١ـنزهةالخواطر ٦ـص ١٣٩:عبد الحئى

١٢ـالمسلمون فى الهند ص ٣٦:ابو الحسن الندوى

١٣ـنزهةالخواطر ج ٦ ص ٣٨٤:عبد الحئى

١٤ـالآداب العربية ص ٦٧:

١٥ـنزهة الخواطر ج ٦ ص ٤٠٩عبد الحئى

١٦ـالمسلمون فى الهند ص ٣٧:ابو الحسن الندوى

١٧ـنزهة الخواطر ج ٧ ٩٢:عبد الحئى

١٨ـ نفس المرجع ج ٧ ص ٩٤:عبد الحئى

الفصل الثانى

المدارس و خدماتها فى تطوير اللغة العربية و آدابها فى الهند

من الاعمال الجليلة التى قام بها الملوك المسلمون فى بلاد الهند هو تركيز عنايتهم على انشاء المراكز العلمية و الدينية و الثقافية و لذا نرى ان كثيرا من المدارس قد أنشئت و أسست فى عصر الملوك المسلمين لنشر العلوم و الفنون فتخرج فيها عديد من جهابذة العلماء و الفقهاء و الأدباء الذين ذاع صيتهم فى أنحاء العالم كله و شد اليهم الرحال جم غفير من الطلاب من مكان فج عميق ورجعوا الى أوطانهم و بيوتهم متزودين بثروات العلم وغنائم المعرفة و و من قام بتصفح أوراق التاريخ الاسلامى فى الهند يتوصل الى نتيجة ان مساهمات المدارس وخدماتها فى مجالات العلم و الأدب اكثر بكثير من مساهمات الدوائر و المعاهد الحكومية الاخرى فليس بخاف على أحد لهذه المدارس دورا عظيما فى ابقاء و احياء العلوم الدينية و الثقافية فلا شك فى ان كثيرا من الكتب و الرسائل القيمة الفت و صنفت فى المنطق و الفلسفة و الفقه و الحديث و النحوو البلاغة بأيدى أصحاب المدارس .يقول فى هذا الخصوص عبد الحليم الندوى كما يلى:

"لقد أنشأ المسلمون خلال تاريخهم المديد فى الهند من المعاهد التعليمية و الهيئات الثقافية و المراكز الدينية و الخاصة بهم و لا يألوا جهدا فى انعاشها و تطويرها و كذا فان ينابيع العلم و العرفان و مراكز الدعوة والارشاد

ومجامع الثقافة و الحضارة التى ظلت تغذى الأفكار

الاسلامية و تنضجها و تدعمها منذ أن بزغت على شبه

القارة الهند"(١)

قبل أن نتعرف دور المدارس فى العلو العربية يستحسن بنا الالمام بالمراحل الابتدائية لهذه المدارس و قد أسلفنا القول بأن الملوك المسلمين فى الهند قدأولوا اهتمامهم بنشر العلوم و المعارف اثر دخول الاسلام فى الهند و هذه المدراس و مراكز تعلم الثقافة فى البداية كانت تباشر نشاطاتها الدينية و العلمية فى المساجد والزوايا والتكايا و تتضح هذه الحقيقة كلمات ابى الحسنات الندوى اذ هو يقول :

"فى الزمن القديم ما كانت المدارس موجودة مثل المدارس اليوم و ليست لها مبانى خاصة بل تستخدم المساجد و فناء ها لأجل التدريس والتعليم فالمساجد القديمة كانت هى مركز العلم المعرفة و لايوجد أى مسجد كبير الا يودى خدمة المدرسة . وأن وجود عدد من المساجد القديمة فى معظم بلاد الهند يشير بانها مركز العلم والثقافة و خلال زمن المسلمين كانت تتغير عاصمة الحكومة و تتنقل من مكان الى مكان آخر. فالمدن الشهيرة مثل دلهى ـآغره ـلاهورـجونفورـأحمد آباد(غجرات)أصبحت عاصمة الهند فى العصور المختلفة وبدون شك اقيمت مساجد عديدة فى المدن المشهورة

وزينت فيها مجالس العلم والأدب واذانها مفقودة اليوم ولكن أثارها مازالت باقية اليوم و خاصة عمارتها تتكلم عن مجالس التدريس زينتها.ونحن نرى كثيرا من الغرفات و الحجرات على جميع جوانب المساجد القديمة وهى فى الحقيقة كانت تستخدم لاقامة الطلاب والمعلمين .فالمسجد فتحبورى ومسجد أكبر بادى قد تم بناء هما فى دلهى مع الحجرات فى جميع الجوانب مع الساحة الواسعة ولاشك أن مثل هذه المساجد اليوم أيضا مراكز العلم والعرفان ويقصد اليها الطلاب و يحصلون فيها على العلوم الاسلامية والادبية مع الفنون الاخرى .وكذلك نحن نرى كثيرا من المقابر مع الحجرات هذه المقابر للعلماء الكبار والسلاطين كانت تودى خدمات التدريس وأن هيئة المقابر الواقعة فى دلهى مثل مقبره همايون و كذلك المقابر الواقعة فى آغره و أحمد أباد تشير بانها كانت تستعمل للتدريس والتعليم .(٢)

اذا امعنا النظر فى تاريخ المسلمين يظهر لنا بألا تبقى أى مدينة كبيرة مثل دلهى ـلاهور ـأحمدآباد ـسرينجار ـأغره ـبدايون وغيرها الا انشأت كتاتيب و مدارس ومعاهد علمية و دينية ولكن تقلبات الدهر وتغيرات الاوضاع السياسية الاجتماعية سرعان ما حطمت آثارهذه المراكز العلمية والثقافية الشهيرة فى العهود الماضية.مهما يكن من أمر فأن اللغة العربية

قدتطورت و ازدهرت فى الهند تحت رعاية هذه المدارس و الكتاتيب ومن تخرج فيها قدم خدمات جليلة رفيعة فى مضمار العلوم العربية و بالنتيجة ذاع صيتهم فى أنحاء العالم كله.

و الجدير بالملاحظة ان هذه المدارس كانت تستهدف تثقيف المسلمين علميا و دينيا و ثقافيا ومن جانب آخر كان من أهدافها و غاياتها نشر اللغة العربية و آدابها فى ربوع الهند فاختارت و انتخبت كثيرا من الكتب العربية لمقرراتها الدراسية مثل الجلالين فى التفسير و الهداية و شرح الوقاية فى الفقه و كذلك الكتب الاخرى حول المواضيع المختلفة من أمثال النحو والصرف ـ الحديث والبلاغة ولايمكن لأحد أن يفهم امهات الكتب هذه الغاية المنشودة الا بعد التضلع من اللغة العربية و أدابها و لأجل هذا الغرض وضع عديد من الكتب الأدبية مثل الحماسة و نفحة اليمن و ديوان المتنبى والمقامات فى المقررات الدراسية لهذه المدراس فأصحاب هذه المدارس لم يختاروا هذه الكتب بلا هدف و غاية وانهم انتخبوها اذانهم كانوا يعرفون جيدا بأن هذه الكتب تمهد الطريق لفهم آيات القرآن ومعناها الحقيقى ومما لاشك فيه أن الآيات القرآنية قدنزلت بأسلوب رائع ادبى تتأثر به القلوب و تهتز به النفوس ولا يختلف فيه اثنان فى ان القرآن سهل الفهم للذين يعرفون اللغة العربية .ولكن من العرب الذين هم محرومون من الذوق الادبى والفنى

لايقدرون على استيعاب معانى القرآن وهدفه الأصلى وذلك لأن كثيرا من آى القرآن محتوية على النوادر الادبية والتعبيرات الفنية والكلمات العويصة وكذلك الحديث النبوى أيضا يشتمل على القطعات الادبية والفنية فجوامع الكلم من الحديث النبوى لها أهمية كبرى من الناحية الادبية وحتى الآن قد أجريت ابحاث عديدة لاثبات المكانة الادبية للحديث النبوى وفى هذه الحقيقة نلاحظ أن كبار العلماء الهنود ادركوا اهمية الكتب الادبية وادخلوها فى المقررات الدراسية للمدارس الدينية هذه الكتب لاتزال تحتل مكانة عالية فى المراكز الدينية المنتشرة فى كل أرجاء الهند وللذين ادنى المام بخدمات علماء الهند ودور المدارس فى تطوير اللغة العربية يعترفون بأن العلماء و المتخرجين فى المدارس لم يغمضوا عيونهم فى يوم من الأيام عن العلوم الادبية .

وبعد هذه التوطئة المؤجزة الآن اود القاء الضوء على دور المدارس والكتاتيب فى تطوير اللغة العربية وفى هذا الخصوص اركز اهتمامى اولا على دارالعلوم الواقعة بقرية ديوبند و دارالعلوم ندوة العلماء الكائنة بلكناؤ .

دارالعلوم ديوبند

وضعت اللبنة الاولى لهذه المدراسة فى قرية ديوبند التابعة لمدينة سهارنفور وبوجه اخص فى مسجد صغير سنة ١٢٣٨هـ و كان من مؤسسى هذه

المدرسة العالم الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النانوتوى(المتوفى ١٢٩٨هـ) ولاشك أن هذه المدرسة فى البداية كانت مدرسة صغيرة لاتستحق اى ذكر و اهتمام الا انها ترعرعت و توسعت بمرور الزمن بفضل جهود أساتذتها البارعين والقائمين عليها حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل من كبرى المدارس الدينية فى قارة آسياويقول السيد ابو الحسن على الندوى فى هذا الشأن كما يلى :

"أن أكبر معهد دينى فى الهند يستحق أن يسمى أزهر الهند هو معهد ديوبند الكبيرة "(٣)

وفيما يتعلق بأهداف دارالعلوم فانها تهدف منذ نشأتها الى الاحتفاظ بالعقيدة الاسلامية واستعادة المجد الاسلامى وبناء المجتمع على أساس الكتاب والسنة وبث التوعية الاسلامية واشعال روح الغيرة الدينية والحماسة الاسلامية فى المسلمين ودحض كل نوع من التقاليد الغير الاسلامية والعودة بالأمة الى تعاليم الكتاب والسنة وازالة الخرافات عن طريق التعليم الارشاد.

خلف علماء دارالعلوم بديوبند آثارا ذات قيمة كبيرة فى المنقولات و المنعقولات من التفسير و الحديث والفقه والكلام و لاتقل مساهمتهم فى الادب العربى كما ونوعا.وقد تمثلت هذه المساهمة فى النثر و الشعر والمعاجم و كتب النحو والصرف التعليقات الشروح.فلهم فى النثر الأدبى

مؤلفات مثل "الهدية السنية" هى رسالة مؤجزة لصاحبها ذوالفقار على فى ذكر المدرسة الاسلامية الديوبندية و "نفحة العرب" هو مجموعة مختار من روائع الأدب العربى قام بجمعها الشيخ محمد اعزاز على و "نفحة العنبر" قام بتاليفها العلامة محمد يوسف البنورى فى حياة استاذه الاكبر الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى .

وفيما يتعلق بالانتاجات الشعرية فتتجلى فيه عبقرية خريجى هذه الدار بكل وضوح وبعد امعان النظر فى آثارهم الشعرية لا يبقى لأحد مجال للشك فيما كانوا يمتازون به من قدرة جيدة على قرض الشعر باللغة العربية فى أسلوب يضاهى أسلوب فحول الشعراء العرب القدامى .فلهم فى الشعر قصائد ومراثى كثيرة نظموها فى المناسبات المختلفة و جانب هام آخر لمساهمات علماء هذه الدار فى الادب العربى هو عبارةعن الشروح والتعليقات فبذلوا قسطا كبيرا من العناية والاهتمام بالتعليق على دواوين و قصائد معروفة للشعراء المتقدمين من العرب من أمثال المعلقات السبع وقصيدة بانت سعاد وقصيدة البردة وديوان المتنبى و حماسة أبى تمام بالاضافة الى شرح وتحشية المجموعات للمختارات الأدبية مثل مقامات الحريرى.وأن تعليقاتهم وشروحهم هذه نالت كثيرا من الاعجاب و القبول لدى الطلبة و الاساتذة فى المدارس والجامعات التى تشكل فيها هذه الكتب جزءا للمقررالدراسى.

ومن ابرز الشخصيات التى اشتهرت فى هذا المجال الشيخ ذوالفقار على الديوبندى والشيخ اعزازعلى فالأول الذكر شروح و تعليقات على كل من المعلقات السبع و قصيدة بانت سعاد و قصيدة البردة وديوان الحماسة وديوان المتنبى .وقال ثانى الذكر بتحشية أبى تمام مع المقدمة العلمية المستفيضة المتعلقة بخصائص هذه االمجموعة الشعرية وبكتابة شرح باللغتين ـالعربية والاردية لديوان المتنبى الى جانب التعليقات المفيدة على مؤلفه المعروف "نفحة العرب" ومفيد الطالبين الذى الفه محمد أحسن النانوتوى .

TH-17992

وكذلك كان لهؤلاء العلماء فضل كبير فى تسهيل دراسة تعلم اللغة العربية فى الهند فتحقيقاهذا الهدف انهم قاموا باعداد معاجم من العربية الى الاردوية والعكس وعدد كبير من الكتب فىّ الصرف والنحو الى جانب كتب مفيدة أخرى نظموا فيها درسا مبنية على القواعد الضرورية للنحو والصرف ومع التمارين المفيدة والمساعدة فى تحقيق المهارة فى اللغةالعربية نطقا وكتابة وقد لعبت هذه المعاجم و الكتب دورا لايستهان به فى تشجيع مساعدة طلبة اللغة العربية فى هذه البلاد وعلى سبيل المثال الاستاذ عبد الحفيظ البلياوى معجما باسم "مصباح اللغات " على غرار المنجد لمعلوف اليسوعى وهو أول من قام باعداد معجم كهذا من بين علماء دارالعلوم بديوبند و بعد ذلك

ألف القاضى زين العابدين قاموسا متوسط الحجم و سماه "بيان القرآن" ثم قام الاستاذ وحيد الدين الكيرانوى باعداد "القاموس الجديد" بالطراز العصرى و ألف كذلك كتابة المعروف "القراءة الواضحة" الذى نال قبولا واسعا فى المدارس الدينية و الكليات والمعاهد العصرية التى تدرس فيها اللغة العربية و آدابها و بعد الكيرانوى ألف نديم الواجدى سلسلة من الكتب تحت عناوين "معلم العربية" و "ترجموابالعربية" و "تكلموا بالعربية" اسهمت هذه الكتب كلها ولاتزال تسهم بقسط كبير فى تسهيل تعلم لغة الضاد.

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء بلكناؤ فى مدينة لكناؤ سنة ١٣١٢هـ بيد العالم الربانى الشيخ محمد على المونكيرى و زملائه المخلصين الذين خافوا على المسلمين من المحافظين ومن المتطرفين و من اعتزال العلماء عن الحياة و تخلفهم عن ركب الثقافة والعلم و من العصبيات المذهبية والمشاجرات الفقهية التى قويت و نشطت فى العهد الأخير لذا نلاحظ ان هذه المدرسة تتوسط بين المدارس القديمة التى تتمسك بالقديمْ و ترى العدول عنه ضربا من التحريف و بين الجامعات المدنية التى تقدس الجديد و تستهين بكل قديم.

فعنيت دارالعلوم ندوة العلماء بصفة خاصة بالقرآن الكريم ـ الرسالة الخالدة ـ و

تـدريسه ككتاب بكل عصر جيل و كذلك عنيت باللغة العربية التى هى مفتاح فهم الكتاب الله و أمينة خزائنه و من هنا وجهت عنايتها البالغة الى تعاليم هذه الـلـغة الـكـريـمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها و يخطب لا كلغة أثرية دراسة لاتجاوز الاحجارأو الأسفار كما حال اللغة السنسكرية.

و لاشك فـى أن دارالـعـلـوم ندوةالعلماء قامت بدور عظيم فعال لترويج اللغة الـعـربية كـتـابة و خـطـابة فـى الـمعاهد الهندية الدينية والعصرية فنلاحظ بعد مـطالعة تاريخ ندوة العلماء ان مؤسسيها منذ البداية عنوا عناية بالغة بهذه اللغة ايـمـانـا مـنهـم بـأنـه بدون اتقان اللغة العربية لا يمكن لأحد فهم كتاب الله و السـنة الـنبـوية حـق الـفهم .ونرى ان الكتب الادبية المتنوعة مثل الحماسة و الـمعلقات السبعة والقراءة الراشدة وقصص النبيين والمنثورات و المختارات والادب بيـن عـرض ونـقـد تدرس من الفصول الابتدائية الى الفصول الاخيرة تـدريـجيـا وهـذا الامـر يـدل عـلـى عناية ندوة العلماء و اهتمامها البالغ باللغة الـعـربية .وهـى فـى نـظـرى أول مـدرسة تدرس فيها الكتب الادبية التى الفها خـريـجو هذه المدرسة .هكذا علماء ها و خريجوها دورا كبيرا فى اثراء اللغة الـعـربية كـمـا بذلوا جهودا كثيفة و لرقيها و تطورها و أنهم لم يكتفوا بتأليف الـكـتـب الأدبية الـفكرية والاسلامية فحسب بل قاموا باصدار مجلات جرائد مثـل "الـضيـاء" و"البـعـث الاسـلامـى "و "الرائد" ولهذه المجلات والجرائد

أهمية كبرى فى دور الصحافة العربية فى داخل الهند و خارجها .

و أخيرا أود أن استعرض بالايجاز خدمات دارالعلوم ندوة العلماء و بخاصة فى الادب العربى .مما لاريب ان ندوة العلماء قد أنجبت حتى الآن كثيرا من العلماء و الادباء و البلغاء و هؤلاء الناس قد عملوا فى ميادين المتنوعة و الحقول المتعددة منها التعليم و التأليف و الكتابة و الخطابة و الصحافة و الادارة و التحقيق و الترجمة و التبليغ و غيرها من الميادين الاخرى .فمن هؤلاء النوابغ الشيخ سليمان بن أبى الحسن البهارى الندوى (١٣٠٢-١٣٧٣)الذى كان تلميذا و خلفا للمؤرخ الشهير العلامة شبلى نعمانى (١٨٥٧-١٩١٤م) و قدخلف مكتبة كبيرة الشيخ البهارى الندوى و له مؤلفات عديدة زاخرة بالكتب العربية القيمة فى السيرة النبوية و الشريعة الاسلامية و التاريخ و الادب العربى و كان كاتبا مرسلا فى اللغة العربية راسخا فى العلوم العربية ظهرت كفاءته فى مقالته المنشورة مجلة "الضياء" و كان شاعرا بارعا قديرا على اللغتين الفارسية و العربية و نظم بعض المقطوعات فى اللغة العربية فمثلا هو يقول فى ذكر فى الموت .

ان الحياة كتاب و هو متسق

و كل يومك من أيامها ورق

لا الموت معناه الا ان تفرقه

الريح فتنشر الأوراق تفترق(٤)

ومنهم الشيخ أبوا الحسن على الندوى (١٩١٤_١٩٩٩) الذى يعد فى طليعة أولئك العلماء والمفكرين القلائل الذين أسهموا بكتاباتهم العلمية المبدعة وجهودهم الدعوية القوية فى النهضة الاسلامية الواعية وله مؤلفات كثيرة فى مجال التاريخ والفكر الاسلامى و فى الدراسات الاسلامية والأدب العربى و قد ألف الشيخ الندوى عديدا من الكتب الدراسة التى تعتنى بوجه خاص بتعليم أطفال المسلمين وكما تركز اهمتاما على دراسة اللغة العربية و كذلك ألف سلسلة من الكتب الدينية لشاب الأمة الاسلامية و من أشهر و أهم مؤلفاته "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و "الصراع بين الفكره الاسلامية والفكرة الغربية" و"الاركان الأربعة "و "رجال الفكر والدعوة" فى خمس مجلدات و "النبوة" و "الانبياء فى ضوء القرآن" و "روائع اقبال" و "روائع من أدب الدعوة فى القرآن والسيرة و "الطريق الى المدينة" و كتب أخرى كثيرة .و يقول البروفيسور محمد أسلم الأصلاحى عن هذه الكتب:

"هذه الكتب و ان كانت حول موضوعات دينية ولكن سماحة الشيخ أبا الحسن أتاها بأسلوب رائع جذاب وملأهابالحيوية والرشاقة والحلاوة الادبية.لايوجد لها نظير فى الادباء الآخرين فى الهند.ويمكن ان يقال بدون أدنى تأمل بأن مكانته فى العربية فيما بين أدباء العربية فى الهند هى مثلما نالها

العلامة شبلى النعانى فى الادب الاردوى".(٥)

ومنهم الشيخ مسعود عالم الندوى (المتوفى سنة ١٩٥٤م) الذى كان من معاصرى الشيخ أبى الحسن الندوى و كان له شغف شديد بالادب العربى وظهرت علائم الادب العربى و طلائعه على قلمه .حتى غدا كواحد من أدباء العرب فى الانشاء والاسلوب الادبى و قد أصدر مجلة عربية من ندوة العلماء باسم "الضياء" وله مؤلفات عديدة باللغة العربية ومنها " تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند و " حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وله أسلوب منفرد فى الكتابة باللغة العربية ويتميز هذا الاسلوب بالترسل و الفصاحة والبلاغة فيجرى قلمه كأنه يسبح فى الماء.

ومنهم الشيخ محمد الحسنى (١٩٣٥-١٩٧٩) الذى دخل ميدان الصحافة العربية فى ريعان شبابه ولم يترك موضوعا من موضوعات الا و كتب عنه وهذه الموضوعات كانت تتنوع من أدب و اجتماع الى سياسة و تاريخ .أصدر مجلة باسم "البعث الاسلامى " فى أكتوبر ١٩٥٥و كان مديرالها طلية حياته فهو أحد من رواد الصحافة العربية فى الهند مؤلفاته العربية مشتملة على مقالاته التى نشرت فى المجلة المذكورة و من هذه المؤلفات كتابه الشهير "الاسلام الممتحن" و "تناقض تحار فيه العقول".

ومنهم الشيخ محمد رابع الحسنى الندوى وهو كاتب بارع يجيد و يتقن

الـلـغة العربية مثل اخواننا العرب ومساهماته فيها مستمرة ومن مؤلفاته القيمة و"الادب بين عرض ونقد" و "المنثورات " و "الأدب و صلته بالحياة".

وقـصـارى الـقـول أن خدمات المدراس الدينية ودورها فى تطور اللغة العربية لاتـزال جارية ولايكتمل أى بحث حول تاريخ اللغة العربية و آدابها بالهند الا بـذكـر الـمسـاهـمـات التـى قـام بهاأصحاب و خريجوهذه المدراس الدينية الاسلامية فلا أبالغ اذا قلت أن فضل بقاء اللغة العربية و نشأتها فى الهند يرجع الى هذه المدارس المنتشرة فى كل ارجاء الهند تقريبا.

١ ـ مقدمة مراكز المسلمين التعليمة و الثقافية والدينية فى الهند (عبد الحليم الندوى)

٢ ـ هندوستان كى قديم اسلامى درسگاه ص ١٥ ـ ١٦ (ابو الحسنات الندوى)

٣ ـ المسلمون فى الهند ص ١١٤ (ابو الحسن الندوى)

٤ ـ الثقافة الاسلامية فى الهند ص ٤٨ (عبد الحئى)

٥ ـ هندوستان مين اسلامى علوم و ادبيات ص ١٤٧ (عماد الحسن الفاروقى)

الفصل الثالث

خلفية تاريخية لبلدة بلكرام

من سعادة وميزة العلوم الاسلامية وفنونها بأن مراكزها لم تكن متواجدة فى أكبر بلاد الهند بل اذ نتصفح أوراق التاريخ فيبدو لناأن أفضل مناهل العلوم والادب قد توجد فى القرى بدلا من المدن الكبيرة بالهند ونرى قد ازدادت أهمية القرى من عهدتيمورو أصبحت مراكز العلوم والفنون و احتلت مكانة ممتازة وقد انجبت القرى الشرقية خاصة كبار العلماء المرموقين البارعين فى الميادين المختلفة ومن له المام بتاريخ المسلمين فيشعر ويحس بأن مراكز العلمية والادبية والثقافية تحت رعاية المسلمين ظلت قائمة فى القرى والأرياف فى شتى الممالك كما كانت هى موجودة فى البلاد الشهيرة مثل دمشق و بغداد و قاهرة و قرطبة و غيرها ويقول ابو العرفان الندوى مترجم الثقافة الاسلامية فى الهند"لايخفى على أحد أن الارياف والقرى لا تزال مراكز العلمية والادبية و الثقافية قد انتشرت فيها العلوم المتنوعة من زمن المغول الى القرن العشرين والنصف من الميلاد وامتازت وانفردت كل قرية من الاخرى فى ميادين العلم و الادب و لكن هذا من الاسف الشديد بأن هذه القرى التى كانت تعتبر مقر العلماء قد أصبحت مدفنهم اليوم"(١)

فنشأت فيها أسرة عديدة علمية و أدى كل فرد من أفرادها خدمات العلم و الأدب وأستفاد بهم الناس عبر القرون و فمن جانب كانت شخصياتها اللامعة نموذجة ومفخرة لسكانها كما كانت هى منهلا من مناهل العلم و العرفان من جانب آخر بحيث يقصد اليها عطشان العلم والادب و يرجعون الى اوطانهم وبلادهم متزودين بحلى العلم و الادب ويمكن أن أقول بأن القرى كانت تعد من ملتقى العلماء والشعراء ومجمعا للبحث والمناقشة على العلوم المتنوعة .

و حينما تسربت داء السقوط الانحطاط بسلطنة دلهى فتوجه أهل العلم و المعرفة الى القرى و الارياف الواقعة فى محاكمة اوده وبدأت فيها مجالس العلم

والأدب تزدهر و تتطور. والجدير بالذكر أن مناطق أوده قد امتازت وانفردت فى مجال العلوم والمعرفة من جميع أنحاء الهند و قد ولدت وترعرت فيها شخصيات عبقرية نادرة المثال .ومن اشهر المناطق المعروفة بأفضل العلماء و الكتاب هى بلكرام وبركام جائس نيوتنى غوبامئو اميتهى سنديلة كاكورى و خير آباد ولكن قرية بلكرام اشتهرت أكثر من جميع القرى المذكورة بعلماء ها و شعراء ها و كتابها . وهى قرية صغيرة فى مدينة قنوج كانت فى زمن من الازمان تحت مدينة لكناؤ ولكنها الأن أصبحت محروسة أو مديرة بمدينة تعرف باسم هردوئى .و فى تسميتها أراء مختلفة فيقال أن أسم بلكرام ينسب الى العفريت "بل" الذى قتله أخ اله شرى كرشن "بلرام" ويقول البعض أن بلكرام ينسب الى "الال پسر بلال"أيضا.

و بدون شك هذه القرية مشهورة ومعروفة الان باسم بلكرام ونجد واحدا من شعراء هذه القرية يعرف ويلقب باسم نواسنج قذ قرض الابيات الكثيرة فى مدحها و استخدم مرارا هذا الاسم فى ابياته .هنا أود أن اذكر بعض أبياته التى تقدم صورة علمية و كذلك تشير الى أهميتها وعظمتها فيقول.

سير بايد كرد ياران تو بهار بلگرام
بر زمرد ناز دارد سبزه زار بلگرام
هر نفس نظر گلستان يمن يومى كند
خوش دماغان از نسيم شكبار بلگرام
عطف از فردوس مى سازد عنان ديده راه
جسم بينائے كه گرد چار بلگرام
اهل معنى كسب انوار سعادت مى كنند
از سواد اعظم دولت مدار بلگرام

من سعادة وميزة العلوم الاسلامية وفنونها بأن مراكزها لم تكن متواجدة فى أكبر بلاد الهند بل اذ نتصفح أوراق التاريخ فيبدو لناأن أفضل مناهل العلوم والادب قد توجد فى القرى بدلا من المدن الكبيرة بالهند ونرى قد ازدادت أهمية القرى من عهدتيمورو أصبحت مراكز العلوم والفنون و احتلت مكانة ممتازة وقد انجبت القرى الشرقية خاصة كبار العلماء المرموقين البارعين فى الميادين المختلفة ومن له المام بتاريخ المسلمين فيشعر ويحس بأن مراكز العلمية والادبية والثقافية تحت رعاية المسلمين ظلت قائمة فى القرى والأرياف فى شتى الممالك كما كانت هى موجودة فى البلاد الشهيرة مثل دمشق و بغداد و قاهرة و قرطبة و غيرها ويقول ابو العرفان الندوى مترجم الثقافة الاسلامية فى الهند"لايخفى على أحد أن الارياف والقرى لا تزال مراكز العلمية والادبية و الثقافية قد انتشرت فيها العلوم المتنوعة من زمن المغول الى القرن العشرين والنصف من الميلاد وامتازت وانفردت كل قرية من الاخرى فى ميادين العلم و الادب و لكن هذا من الاسف الشديد بأن هذه القرى التى كانت تعتبر مقر العلماء قد أصبحت مدفنهم اليوم"(١)

فنشأت فيها أسرة عديدة علمية و أدى كل فرد من أفرادها خدمات العلم و الأدب وأستفاد بهم الناس عبر القرون و فمن جانب كانت شخصياتها اللامعة نموذجة ومفخرة لسكانها كما كانت هى منهلا من مناهل العلم و العرفان من جانب آخر بحيث يقصد اليها عطشان العلم والادب و يرجعون الى اوطانهم وبلادهم متزودين بحلى العلم و الادب ويمكن أن أقول بأن القرى كانت تعد من ملتقى العلماء والشعراء ومجمعا للبحث والمناقشة على العلوم المتنوعة .

و حينما تسربت داء السقوط الانحطاط بسلطنة دلهى فتوجه أهل العلم و المعرفة الى القرى و الارياف الواقعة فى محاكمة اوده وبدأت فيها مجالس العلم

و الأدب تزدهر و تتطور. والجدير بالذكر أن مناطق أوده قد امتازت وانفردت في مجال العلوم والمعرفة من جميع أنحاء الهند و قد ولدت وترعرت فيها شخصيات عبقرية نادرة المثال .ومن اشهر المناطق المعروفة بأفضل العلماء و الكتاب هي بلكرام وبركام جائس نيوتني غوبامئو اميتهي سنديلة كاكوري و خير آباد ولكن قرية بلكرام اشتهرت أكثر من جميع القرى المذكورة بعلماء ها و شعراء ها و كتابها . وهي قرية صغيرة في مدينة قنوج كانت في زمن من الازمان تحت مدينة لكناؤ ولكنها الأن أصبحت محروسة أو مديرة بمدينة تعرف باسم هردوئي .و في تسميتها أراء مختلفة فيقال أن أسم بلكرام ينسب الى العفريت "بل" الذى قتله أخ اله شرى كرشن "بلرام" ويقول البعض أن بلكرام ينسب الى "الال پسر بلال"أيضا.

و بدون شك هذه القرية مشهورة ومعروفة الان باسم بلكرام ونجد واحدا من شعراء هذه القرية يعرف ويلقب باسم نواسنج قد قرض الابيات الكثيرة في مدحها و استخدم مرارا هذا الاسم في ابياته .هنا أود أن اذكر بعض أبياته التى تقدم صورة علمية و كذلك تشير الى أهميتها وعظمتها فيقول.

ستير بايد كرد ياران تو بهار بلگرام
بر زمرد ناز دارد سبزه زار بلگرام
هر نفس نظر گلستان يمن يومى كند
خوش دماغان از نسيم شكبار بلگرام
عطف از فردوس مى سازد عنان ديده راه
جسم بينائے كه گرد چار بلگرام
اهل معنى كسب انوار سعادت مى كنند
از سواد اعظم دولت مدار بلگرام

شش جهت تنگ است برجولان رخش همتش

بر فراز عرش نار و شهسوار بلگرام

یاد هندوستان کجا از خاطر طوطی رود

میکند شاعر بجا وصف دیار بلگرام(٢)

هـذه الابيـات أكبر دليل بأن هذه القرية قد ظهرت على بطنها الشعراء الكبار و الكتاب المرموقون والمؤرخون البارزون .

وبسبـب البيـئة الـعـلـمية الأدبية لايـخـلـوأى بيت من البيوت الا و قد يوجد فيه مكتبة مـمـلـوء ة بالكتب الناردة ولكن حين تغير ت الأحوال وبدأ الناس يغمضون من العلوم الاسلامية فضاعت هذه المكتبة والمراكزالعلمية الأخرى.

ومهـمـا يـكـن مـن امـران بـلـكرام لاتزال تتذكر بخدمات علماء ها الكبار و شعراء ها البـارزيـن و كتـابها المرموقين . فمنهم عيد الجليل البلكرامى (١١٢٨هـ١٧١٥م)وقد ذكـر عنه حفيده السيد غلام على آزاد البلكرامى فى سبحة المرجان و أشاد ببراعته فى االشـعـر .فـكـان مـاهـرا فـى نـظـم التـواريـخ بـالـلغات الأربع وهى العربية و الفارسية والتركيةوالهندية وله أبيات تمتاز بتشبيهات نادرة و صنائع لفظية غريبة .

وقـد كتـب وطـواط أن بـديـع الزمان الهمدانى نظم شعرا لم يقرض مثله أحد غيره من الشعراء الا عبد الجليل فمثلا قال الهمدانى :

هو البدر الا أنه البحر زاخرا

سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

وقال عبد الجليل:

هو القطب الا أنه البدر طالعا

سوى أنه المريخ لكنه أسعد(٣)

ولايمكن لأحد أن يبحث فى آثار علماء بلكرام بغض النظر عن ذكر العلامة غلام على آزاد البلكرامى - فهوأكبر شعراء اللغة العربية الذى أنجبتهم الهند ويلقب حقا بحسان الهند كما يلقب "خاقانى" الشاعر المعروف للغة الفارسية بحسان العجم. و له عدة دواوين للشعر العربى قد طبعت مجموعة منها باسم " سبعة سيارة" و مجموعة أخرى اسمها "تسلية الفؤا د"و كتابه " سبحة المرجان " يعتبر أول كتاب من نوعه وطبع فى ١٨٨٥م فى بومبائى وأخيرا طبعه معهد الدراسات الاسلامية بجامعة على كره مع تحقيق من الدكتور محمد فضل الرحمن الندوى وله قصيدة طويلة "مرأة الجمال " تحتوى على ١٠٥ أبيات وقد خصص فيها بيتين لكل عضو من أعضاء المرأة وهو أول شاعر نظم قصيدة كهذه فى وصف جمال المرأة حيث تناول فيها كافة أعضاء جسدها موردا فيها تشبيهات نادرةلخمسين عضوا من أمثال الضفيرة والجبهةو الحاجب والعين وغيرها فقال مثلا فى وصف الضفيرة:

أ ضفيرتان على بياض خدودها

أو فى كتاب الحسن سلسلاتان

أو ليلتا العيدين أقبلتا معا

أو من قصائدهم معلقاتان (٤)

أود أن اكتب مزيد ا عن هذه البقعة المباركة واتناول بذكرشخصياته البارزة ولكن لا يسع لىَ الوقت وكذلك تغيرت حالة هذة البلدة وأخيرا اختتم هذا لفصل بهذا البيت التالى الذى ينطق بلسان الحال بها :

پھول بھی تھے پھل بھی تھے اس سرزمیں پہ کیا نہ تھا

آج ھے ویران ، کبھی آباد ھر ویرانہ تھا

١ ـ اسلامی علوم و فنون هندوستان مین :ابو العرفان الندوی ص ٢٥

٢ ـ ماثر الکرام : غلام علی آزاد بلغرام ص ٧٩

٣ ـ سبحة المرجان :غلام علی آزاد بلغرام وتحقیق محمد فضل الرحمن الندوی السیوانی ص ٣١٢

٤ ـ مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی:زبیر أحمد فاروقی ص ٢٣ زبیرأحمد فاروقی.

الباب الثانى

حياة العلامة السيد مرتضى البلكرامى

الفصل الأول

مولد العلامة ومكان ولادته

محاسن الفضائل و احاسن الفواضل بصفوفها الجمة حتى طبق العالم على الاعتراف بغرر مناقبه وقلما ولد له نظيير فى الا علام من ابناء جيله.(٢)

و فى مقدمة مآثر الكرام يمدحه السيد عبدالحق(الملقب بابائے اردو) قائلا:

"ان الارض بالكرام أنجبت عالما شهيرا يعد من كبار علماء الهند و لا يتم تاريخ علماء الهند حتى أن يذكر فيه السيد المرتضى صاحب "تاج العروس"(٣)

من ناحية اخرى يلتقى العلامة الجبروتى بكتابة كلمة "البلاد" فلم يحدد اى مكان خاص بمسقط رأسه كما هو واضح من كلماته التالية:

"نشأ ببلاده و ارتحل فى طلب العلم"(٤)

و كذالك نرى ان الاديب الشامى الشهير السيد على الطنطاوى قد وقع فى الخطا عنه فى تحديد مكان ولادة العلامة البلكرامى فهو يقول:

" ولد فى اليمن سنة ١٤٤٥ه قبل مئتين و ثلاثين سنة و مشأ بها "(٥)

و نفس الخطأ يوجد فى قاموس الاعلام من المنجد فنجد فيه كلمة "ولد باليمن فى بيان مسقط رأس العلامة" و كذالك يرتكب نفس الخطأ الأديب و المورخ الكبير جرجى زيدان فهو يكتب:

"هو ابو الفيض الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى نشأ باليمن و ارتحل فى طلب العلم ثم جاء مصر سنة كذا كذا".(٦)

و مما نلاحظ هنا ان الذين ى يدعون أن السيد مرتضى ينتمى الى اليمن يعتمدون فى الحقيقة على قيامه الطويل فى مدينة زبيد اليمنية حتى اشتهر بالزبيدى و من المعروف أن العلامة البلكرامى قد غادر الى اليمن فى عنفوان شبابه و تعلم و استفاد من علماء تلك البلاد و كتب و ألف كتبا عديدة على الموضوعات شتى و نبغ و برز بين علما ء العرب و ذاع صيته فى كل بقعة من بقاع العالم فدفعت هذه الامور بعض علماء

العرب الى القول بأنه من مواليد اليمن .

ومما يبدو ان هولاء العلماء لم يقوموا بالبحث و التحقيق فى هذه الامر كما ينبغى و مع هذا كله قد ذهب عديد من علماء العرب الى ان العلامة الذى نحن بصدد ذكره قد ولد بالهند فيقول العلامة الزركلى :

" محمد بن محمد عبد الرازق الحسينى الزبيدى ' ابو الفيض ' الملقب بالمرتضى علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب من كتاب المصنفين اصله من واسط (فى العراق) و مولده بالهند (فى بلجرام) ونشأته فى زبيد (باليمن) رحل الى الحجاز واقام بمصر ".(٧)

وكذلك يكتب الأديب وماهر المخطوطات الاستاذ عبد الحى الكتانى فى كتابه (فهرس الفهارس) كما يلى :

" الواسطى العراقى اصلا الهندى مولدا ' الزبيدى علما وشهرة المصرى وفاة ' الحنفى مذهبا ' القادرى ارادة ' النقشبندى سلوكا ' العشرى عقيدة ' وهكذا يصف نفسه فى كثير من اجازاته التى وقفت عليها واصله من بلجرام قصبة على خمسة فراسخ عن قنوج ' واشتغل على المحدث فاخر بن يحى الاله آبادى ' الشاه ولى الله الدهلوى فسمعه عليه الحديث و اجازه ثم ارتحل لطلب العلم فدخل زبيد ---(٨)

وذكر الشيخ عبد الحئى صاحب النزهة الخواطر :

الشيخ الامام والمحدث مرتضى بن محمد بن قادر بن ضياء الله الحسينى الواسطى البلكرامى نزيل مصر ودفينها المشهور بالزبيدى وهو صاحب "تاج العروس" شرح القاموس ولد بمحروسة بلكرام سنة خمس وأربعين ومائة والف.(٩)

وهكذا يتفق جميع علماء الهند على انه هندى مولدا قد ذكرنا من قبل رأى صاحب نزهة الخواطر فى هذا الخصوص والآن ننقل فيما يلى ما كتبه المحقق الكبير

النواب صديق حسن خان فى هذا الموضوع فهو يقول :

" قد اقام رحمه الله بزبيد حتى قيل له الزبيدى واشتهر بذلك واختفى من الناس كونه من الهند ومن بلكرامها (١٠) وكذالك كتب السيد حبيب الرحمن الاعظمى مقالة مستفيضة أثبتت فيها بدلائل قاطعة ردا علي ما جاء به السيد عبدالستار فراج حول مولد العلامة فى الهند والذين من الأخطاء بأن العلامة كان هندى المولد فاستهل الأعظمى مقالته بالكلمات التالية

" السيد مرتضى الزبيدى هندى لايحوم حوله شك"(١١) وبغض النظر عن هذا كله فكل من يقوم بمطالعة تاج العروس و يمعن فيه النظر يضطر الى الا عتراف بان العلامة كان هندى الاصل وذلك لان يوجد فى تاج العروس كثير من الكلمات والاماكن لايستطيع ان يتطلع عليهما فى هذا الخصوص انقل فيما يلى بعض الكلمات من القاموس للدلالة على ان الجامع هذه الكلمات علاقة وطيدة مع بلاد الهند العظيمة :

اجين : كقبيط مدينة بالهند

براون : بفتح الباء وضم الواو مدينة بالهند منها الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن احمد الخالدى الشهير بنظام الاولياء ـــ نفعنا الله تعالى بركاته ـ

برن : محركة مدينة بالهند منها الامام ضياء الدين المحتسب مؤلف كتاب الاحتساب وغيره

بروج : كجوهر مدينة عظيمة بالهند وبرائج بالفتح بها ـ كانه اراد (بهرائج)

البسارة : قال الصغانى وبالشين تصحيف وهم يسمعون البرساة كما هو مشهور على السنتهم

بلبن : كجعفر اسم وغياث الدين بلبن ملك الهند له آثار معروفة

بنكالة : بالفتح وقال ايضا بالجيم بدل الكاف ، كورة عظيمة من كور الهند لها سلطان مستقل ومملكة واسعة .

بنور : كتنور بلد بالهند منها الشيخ آدم البنورى تلميذ ابى العباس احمد بن عبد الاحد الفاروقى.

بهار : ككتاب مدينة عظيمة بالهند

التنبولى : (التنبل ؛ التنبولى والتانبول التامول) هذه الاصل دخلت فى العربية منذ أوائل الفتوح ولكن مما تفرج به السيد مرتضى قوله ، ومما يستدرك عليه (التنولى) بائع التنبول.

الجوكية : طائفة من البرهمة يقولون بتناسخ الأرواح

خير آباد : مدينة كبيرة بالهند ، منهما شيخنا الامام المحدث المعمر صفة الله من الهداد الحنفى ، وروى عن الشيخ عبد الله بن سالم البصرى وغيره

دكن : بفتح فكسر كاف مسودة كورة عظيمة بالهند

دهلى : (يصفها وصفا ممتعا الى ان يقول) ..... ومن المتأخرين الامام المحدث ابو محمد

عبد الحق بن سيف الدين البخارى الدهلوى من كبار أئمة الحديث شرح المشكاة عربى و فارسى ومدارج النبوة فارسى ترجم فيه المواهب المواهب الدينية واخبار الاخيار وغيرها وقد الى الحرمين فأخذ عن الشهاب احمد بن حجر المكى وطبقته كالشيخ عبد الوهاب المتقى وملا على القارى وغيرهما

رانا : (كصاحب) اهمله الجوهرى وقال الأزهرى الرانكية نسبة الى الرانك ولا اعرف الرانك وقال ابن عباد هو (حى) كما فى الحباب و لم يبين اهم من العرب ام من العجم ولا احالهم الا من العجم وفى الهند طائفة من ملوكهاالكبار يقال لهم رانا فربما تكون هذه نسبة اليهم بزيادة الكاف غلى قياس لغتهم .

سندلة : بالفتح مدينة بالهند منها شيخنا العلامة ابو العباس احمد بن على السنديلى احد المحققين فى المعقولات.

كلير : كجعفر مدينة عظيمة بالهند

كنبايت : مدينة عظيمة بالسواحل الهندية

لكناؤ : مدينة عظيمة بالهند وهى بيد الافرنج اليوم .

لهور : كجعفر ويقال لاهور كساجور ويقال لهاور مدينة عظيمة بالهند بها ولد الصاغانى صاحب

العباب واليه ينسب جماعة من المحدثين .

المهو : المهو شجر سهلى اكبر مايكون له ثمر حلويؤ كل وفيه رائحة طيبة يكون فى أرض الهند

ناكور : بفتح الكاف مدينة بالهند ومنها حميد الدين الصوف الناكورى الملقب بسلطان التاركين من قدماء الشيوخ .

وأكبر دليل على مولده بلكرام بأن السيد مرتضى ذكر أصله بلكرام فى نهاية اجازة عمر بن حمود الصغار التونسى وقد حصل العلامة الكتانى هذا بعد أنه وجد هذة النسخة المذكورة .(١٢)

فيما يتعلق بنسبه و حسبه معروف جدا فيكتب السيد غلام على آزاد البلكرامى فى هذا الخصوص كالتالى:

السيد مرتضى بن السيد محمد بن السيد قادرى بن السيد ضياء الله بن السيد خان محمد بن السيد عبد الغفار بن السيد تاج الدين بن السيد دولاره بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد بدهن بن السيد جمال الدين بن السييد ابراهيم بن السيد ناصر بن السيد حسين بن السيد على العراقى ين السيد حسين ين السيد على بن السيد محمد بن محمد عيسى مؤتم الاشيال بن الامام همام سيدنا و سيد المسلمين الامام زين العابدين بن الامام حسين عليه السلام بن أسد الله الغالب على ابن أبى طالب و سيدة فاطمة الزهراء بصفة رحمة للعالمين امام المرسلين خاتم النبيين محمد ـصلى الله عليه و سلم و على آله و اصحابه أجمعين .(١٣)

و يكتب عنه الاديب الشامى الشهير السيد على الطنطاوى فى كتابه رجال من التاريخ.

" الـزبيـدى شـارح الـقـاموس من الرجل الذى طرازا نادرافى العلماء و الذى كان نـمـوذجا للشيخ الذى جعل (المشيخة) نجادة و صو رة للعالم المترف الثرى و الذى بـلغ من قدرة آنه كان من آشهر علماء الارض فى زمانه و نال من الخطوة عند العامة و الخاصة و عند الملوك و الامراء و لم ينله الا الأقل من العلماء و الذى كان مشاركا فى كـل عـلـم مسـلـمـا بـكـل فـن اما ما فى اللغة و فى الحديث و فى التاريخ و كان اديبا شاعرا . (١٤)

كـان الـعـلامة البـلكرامى طيب الخلق و كريم النفس و رعا تقيا ساذجا و قو را سليم الـطبع فيرسم العلامة الجبرو تى فى كتابه "تاريخ عجائب الاثار فى التراجم و الاخبار" صورته و شمائله بالكلمات التالية:

"كانت صفته ربعة،نحيف البدن،ذهبى اللو ن، متناسب الأعضاء، معتدل اللحية قد و خطه الشيب فى اكثرها مترفها فى ملبسه و يعتم مثل أهل مكة عمامة متحرفة بشاش أبيـض و لهـا عذبة مرخية على قفاه و لها حبكة و شراريب حرير طولها قريب من فتر و طـرقهـا الاخـر مداخـل طـى الـعـمـامة و بعض اطرافه ظاهر و كان لطيف الذات حسن الـصفات بشوشا بسوما و قورا محتشما مستحضر ا للنوادر و المناسبات ذكيا لوذعيا فطنا (١٥)

و يـلـيـق بنا ان نذكر هنا ما كتبه الشيخ على الطنطاوى عن خصائل العلامة الحميدة المتنو عة الجذابة الدالة على قدره و عظمته فهو يقول:

"كـان وقورا مهيبا، بشوشا بساسا،و كان مع هيبته و و قاره خفيف الروح ، عزب النكتة، مستحضرا للتوادر العجيبة، متحدثا قليل النظير"(١٦)

١ ـ تاريخ الادب العربى: ص ٢٧٦ حسن زيات

٢ ـ مجلة : المجمع العلمى الهندى رجب ١٤٠٠هـ/يونيو ١٩٨٠ء

٣ ـ مقدمة مآثر الكرام : ص ٢٠ عبد الحق (الاديب اللبيب باللغة الاردوية)

٤ ـ عجائب الآثار : ص ١٠٤ الجزء الثانى : عبد الرحمن الجبرتى

٥ ـ رجال من التاريخ : ص ٢٣٣ على الطنطاوى

٦ ـ تاريخ آداب اللغة العربية : ص ٢٨٨ الجزء الثالث : جرجى زيدان

٧ ـ الاعلام: ص ٧٠ ـ الجزء السابع : العلامة الزركلى

٨ ـ فهرس الفهارس : ص ٣٩٨ الجزء الاول : العلامة الكتانى

٩ ـ الاعلام ،نزهةالخواطر ص ٥١٦ ج ٧:عبد الحئى

١٠ ـ ابجد العلوم : ص ٧١٣ : نواب صديق حسن خان

١١ ـ مجلة : البعث الاسلامى : ص ٥٧ .ربيع الثانى ١٣٩٦هـ

١٢ ـ فهرس الفهارس : ص ٤١٣ الجزء الاول : العلامة الكتانى

١٣ ـ رجال من التاريخ :ص ٢٣٤ على الطنطاوى

١٤ ـ مآثر الكرام :ص ١٣٩ : غلام على آزاد بلكرامى

١٥ ـ عجائب الآثار:ص ١١٤ .الجزء الثانى : العلامة الجبرتى

١٦ ـ رجال من التاريخ :ص ٢٣٥ :على الطنطاوى

الفصل الثانى

التعليم الابتدائى

نشأ وترعرع السيد مرتضى فى أسرة علمية دينية ممتازة ولت فيها عديد من كبار العلماء البارعين المرموقين ورث الثقافة والأدب ابا عن جد وكابراعن كابر فنال التعليم الابتدائ فى وطنه ثم غادر مسقط رأسه يتوجها الى المدن والامصار المختلفة مثل اله آباد ودلهى حتى حثه شوقه العلمى على زيارة البلدان العربة مثلا الحجاز ومصر ودمشق وغيرها من المراكز العلمية الشهيرة فى فترة حياته الكريمة وقد القى السيد مقبول احمد صمدانى الضوء على المراحل المختلفة لتعلم العلامة البكرامى الزبيدي اذ هويقول :

" انه نال التعليم الابتدائ فى وطنه وذكر برنامجة اسماء ثلاث مأة من الشايخ والاساتذة الذين تلمذ عليهم السيد مرتضى ومن بينهم المحدث محمد فاخر بن يحى اله آبادى المتخلص بالزائر والشيخ ولى الله الدهلوى صاحب حجة الله البالغة وبايع على يد السيد يسين حموى من السلسلة القادرية وحصل على الاجازة من الشيخ جعفر العلوى المدنى الذى وصل الى الهند بدمشق "(١)

ويكتب العلامة مناظر احسن الجيلانى فى احدى مقالاته عن شخصية العلامة البلكرامى قائلا :

" غادر السيد مرتضى وطنه اى قريته وبلغ اولا الى مدينة اله آباد وتلمذ على العالم الكبير السيد الفاخر الذى كان يعد من اشهر العلماء فى ذلك العصر فى مجال التدريس "يستطرد العلامة الجيلانى قائلا :

" رحل الى دلهى بعد اله آباد فى عصر المحدث العبقرى الشاه ولى الله الدهلوى الذى كانت دروسه ينبوعا من ينابيع العلم والتحقيق وعلامة نادرة فى مجال التدريس فتلمذ له واستفاد منه وتأثر به كثيرا ذكرفى احدى مذكراته عن حضوره فى درس

المحدث المذكور بفرح وسرور مع هذا كلهلا يستطيع ان نحدد بالضبط مدة اقامته فى دلهى وكذلك لا يوجد له اى كتاب تبلور فيه أثر أفكار وآراء الشاه ولى الله الدهلوى "(٢)

وفى ريعان شبابه اشتاق الى الحج فشد رحاله متوجها الى ارض الحجازفهو يقول فى هذا الخصوص كما يلى :

" در حداثت سن توفيق زيارت حرمين شريفين "قد وفقت بزيارة الحرمين الشريفين فى حداثة سنه ويؤيد عديد من كتبه كلماته المذكورة آنفا وقد جاء بذكر هذه الواقعة النواب صديق حسن خان فى كتابه " القيم اتحاف النبلاء " فهو يقول :

" انه تشرف بزيارة الحرمين الشريفين سنة ١١٦٤ه "(٣)

ومن الجدير بالملاحظة هنا ان العلامة لم يمكث فى مكان واحد لنيل العلوم بل لم يزل ينتقل طيلة حياته يهذا الشوق من مكان الى مكان آخر ومن بلاد الى بلاد آخر من مثل اليمن ومكة والطائف ومصر وغيرها من المدن والامصار واجتمع خلال هذه الرحلات بالعلماء والمشايخ فازداد قوته الروحية والعلمية بفيض هؤلاء الصوفية والشيوخ ولكنه فضى اكثر اوقات حياته فى مدينة زبيد باليمن حتى اشتهر وعرف فى أنحاء العالم بالزبيدى وبمناسبة هذا لمكان نود ان نلقى نظره عابرة على الخلفية التاريخية لمدينة الزبيد .

زبيد:

زبيد (بفتح الاول وكسر الثانى) مدينة باليمن تقع فى السهل الساحل فى جنوب " بيت الفقيه " فى موضوع متوسط بين ميناوئ الجديدة . فى الشمال وسخا فى الجنوب . كانت تعرف أصلا باسم الخصيب وغلب عليها اسم زبيد وهو اسم الوادى

الذى يقع عند طرفه الغربى الى ناحية البحر بدء عمرانها فى خلافة المامون العباسى.

اصبحت زبيد خلال فترات متقطع عاصمة لبعض الاسر المالكة التى حكمت اليمن منها الدولة الصليحية ما بين .... وفى عام ٥٦٩ (١١٧٣) استولى عليها توران شاه واسس بها الدولة الايوبية بعد ان طرد منها بنى مهدى من الخوارج ثم اصبحت فى عام ٨٥ (١٤٤٦)م عاصمة للطهريين ثم انتقلت عاصمتهم بعد ذلك الى عدن . وفى عام ٩٢٢ه (١٥١٦)م استولى عليها ابو نمى الثانى شريف مكة ولكن لم تلبث اليمن ان ضمت باسرها الى العثمانيين .

النسبة اليها زبيدى ولقب اشتهر به جميع من الفقها ء الذين نشئوا وترعرعوا فى هذه المدينة ولابن البديع كتاب فى تاريخ زبيد باسم بغية المستفيد فى اخبار زبيد . (٤)

كان السيد مرتضى له ميل طبعى الى الحديث و الادب اكثر بكثير فلما رأى ان العلوم العقلية قد شاعت وعمت فى بلاد الهند والكتب القديمة مثل مير زاهد سلم العلوم تدرس مثل كتب الحديث والتفسير فقلق بهذا السبب السيد مرتضى اشد القلق وحزن وتاسف اسفا شديدا فعقد العزم على الذهاب الى بلاد العرب حيث وجد مجالس الحديث والادب والتفسير حسب رغبته ورأى ان اصحاب العلم و الفن ينهمكون فى نشر علوم الحديث والتفسير وتجرى مجالس تحت اشراف المحدثين والمفسرين فى المدن المختلفة والقرى النائية فتاثر به العلامة وانتقل من مكان الى مكان للحصول على العلم والمعرفة وبالرغم من ا ن مكة والمدينة كانتا فى ابان حياته من المراكز الهامة للعلوم الفنون المعارف الا ان بلاد اليمن امتازت وانفردت عن البلدان الاخرى . فبى هذا المضمار يوجه مدينتها زبيد كانت فى ذلك العصر معروفة بتواجد العلماء العظام و المحدثين الكبار فيها فقصد اليها العلامة البلكرامى من حسن حظه انه تلمذ على العلامة عبد الخالق بن زين مرجاحى الذى كان من الاعلام الكبار فى ذالك

الوقت والذى تلقى العلوم والفنون على يد العلماء الكبار فى الهند مثل العلامة حياة السندى والشيخ عبد الكريم الهندى والشيخ امر الله الهندى .

وقد جاء عديد من المولفين والكتاب الآخرين بذكر رحلة العلامة الى اليمن واقامته فيها لاجل العلم والمعرفة فيقول مقبول احمد صمدنى كما يلى :

"قد ترك السيد مرتضى وطنه وسافر الى اليمن كى يسقى غليله من مناهل العلم والادب واقام فى زبيد بفتح الراء الى مدة طويلة اقامته فيها بفترة طويلة جعلته معروفا كالزبيدى .(٥)

كان العلامة يحب ارض زبيد حبا جما حتى استوطنها وحبه الشديد لمدينة زبيد تبلور من رسالة ارسلها الى صديقه فى مصر فهو يكتب فيها :

" ادعو الله الواحد المنان بان يبعثنى الى تلك المنطقة المباركة كى اتذكر الايام الماضية التى قضيتها فيه واشعر الفرح والسرور وطمانية القلب " .(٦)

... وتجدر الاشارة هنا الى ان السيد مرتضى قد قام باداء الحج مرات عديدة وذات مرة اثناء الحج التقى بشخصية الممتازة المرموقة الشيخ السيد عبد الرحمان مصطفى العيد الروسى وتاثر بتعاليمه ودروسه الى ابلغ حد حتى دخل فى زمرة مريديه وبلغ به حبه للشيخ وشغفه به الى درجة الهيام فلا يقرر له قرار بدون ان يتشرف بزيارة الشيخ ويسعد بكلامه وكذالك كان الحال بالنسبة للشيخ ايضا فانه ايضا قد جعله قرة عين له لما رآى فى من اصلاح حاله الباطنية وتفانيه فى ذات الشيخ والحرص الشديد على الامتثال بما يامره وينهى عنه . يوضح السيد العلامة اثر الشيخ على نفسه بكلماته التالية :

"انه من ربانى وبلبانى تاديبه غذانى" (٧)

فقرأ على السيد العيد روسى "مختصر المعانى" باكمله كما قرأ عليه جزء من " احياء

العلوم للغزالى " واستفاد بهذا الدرس كثيرا اصبح هذا الدرس فيما بعد سببا لشرح عظيم للكتاب المذكور فى صورة باسم " اتحاف السادة المتقيين فى شرح احياء العلوم " ولا شك فيه ان هذا الشرح قد اشتهر كثيرا فطار صيته فى انحاء العالم وقام العلامة بطباعته فى مصر وهو اليوم فى ايدى العلماء كذخيرة علمية غالية ذات قيم بالغة .

قد القى العلامة الجبرتى الضوء على المراحل المختلفة لتشكيل شخصية العلامة قائلا: "قرأ الشيخ عيد الرحمان العيد روسى "مختصر السعد" ولازمه ملازمتا كلية والبسه الخرقة واجازه بمروياته ومصنوعاته وقال : هو الذى شوقنى الى دخول مصر بما وصفه لى من علمائها وا مرائها و ادبائها ومافيها من المشاهدات الكرام"(٨)

واثناء مكوثه فى المدينة المنورة سنة .. تلمذعلى الشيخ السيد عمربن عقيل الحسينى المكى وسمع منه "حديث الرحمة '' المعروف بالمسلسل من الاولوية عند "باب الرحمة" وفى ذالك الزمن كان الشيخ عبد الله بن محمدبن موسى اشرف الفاسى يعيش فى المدينة فأتى اليه العلامة وقرأ عليه اكثر الاجزاء من "القاموس المحيط " لمجد الدين فيروزابادى ومما يبدو انه قد صمم خلال الدرس على كتابة شرح للقاموس .وفى هذه الفترة من الزمن انه اقترب من الشيخ العيد روسى وبدء يحبه حب الهيم فكان يمتثل بجميع اوامره بكل رغبة وشوق هذا واضح من الكلمات التالية للعلامة الجيلانى :

" قد تغيرت حالة العلامة بعد ان بايع على الشيخ العيد روسى واصبح جميع اموره تحت رهين اشارته " .(٩)

فتوجه العلامة الى مصر ممتثلا لامر شيخه ووصل الى القاهرة سنة .. واقام مدة طويلة فى خان الصاغة فانتهز هذه الفرصة واستفاد بها كثيرا واكتسب علما نافعا كما يظهر

من احدى رسالته التى يقول فيها :

" قد من الله على ومن احسن امتنانه بانى ما ضيعت اوقاتى فى مصر بل انتهزت هذه الفرصة الثمينة الغالية ومازلت مشتغلا فى نيل العلم بكل بنشاط وانهماك بالغ وكذالك قد قضيت هنا اوقاتى لاجل معرفة حل اسرار العلوم والفنون"(١٠)

فكان يحضر العلامة فى المجالس العلمية للشيوخ المصريين الكبار واعترف اكثر منهم بقوة حفظه وذكائه وشوقه نحو العلم انه كان يحضر بوجه خاص ودروس شيوخ الوقت كالشيخ احمد الملوى والجوهرى والحنفى والبليدى والصعيدى والودابغى وغيرهم وتلقى منهم الاجازات العلمية وشهد هولاء جميعهم بعلمه وفضله وجودة حفظه . كان العلامة كما ذكرت من قبل مولعا بمطالعة الاحاديث النبوية فكان دائما يسعى بجمع الاسانيد المتنوعة والختلفة وقد ابدى شوقه هذا فى رسالة ارسلها الى صديق له بزبيد فيقول له :

" مرت تلك الايام التى يسافر فيها الناس الى مكان بعيد باحثين الاسانيد العليا وطوى بساط البلاد وخارت همم الناس فاين اختفى اولائك العلماء المحدثون الذين يعدون مفخرة للبلاد ويقاومون الضلالة ويطرحون النقائص" .(١١)

ويستطرد قائلا بمنتهى الابتهاج والسرور " ومهما يكن من امر وبقيت الاثار القليلة التى اسسها كبار العلماء وهذا العبد الوفى الحمد لله من اولائك الرجال الذين لم يالوا جهدا لاخذ علم الحديث واسانيده حتى قد تمكن من ا ن يدرس علم الحديث النبوى " .(١٢)

وهذا الشوق قد ساقه الى خارج مصر لم يزل يسافر فى مختلف البلدان والمدن فى احدى رسائله هو ياتى بذكر تلك الامكنة التى وصل اليها فى طلب الاسانيد ومن المدن التى زارها العلامة فرشوط و محلة و مسهنود وبوصير ومهتور واستفاد العلامة

من علماء هذه الامكنة كلها وسافر ثلاث مرات الى صعيد واجتمع بكبار علمائها ومن بينهم الشيخ همام و اسماعيل ابو عبد الله ابو على واولاد نصير الذين اكرموه ورحبوابه ترحيبا حارا .

كان من عادة العلامة بانه لم يعلم اى منحل من مناحل العلم اى مركز من مراكز العلم والادب الا انه سافر اليه حتى ارتوت نفسه واطمأن قلبه وبسبب هذا الشوق الشديد انه قصد الى بيت المقدس فله رسالة فى هذا الخصوص يكتب فيها :

" سافرت الى البيت المقدس وحضرت مجالس ارباب السند وقد دفعنى الشوق الى زيادة رحلةٍ ونجحت فى كل مكان لتحصيل سند السماع الحديث ."(١٣)

ولا شك فى ان الانسان الذى يكرس حياته للعلم والعرفان يرتفع منصبه ويحتل مكانا مرموقا بين العلماء والادباء ولايستطيع السيد العلامة مرتضى البلكرامى واحدا من قبل هولاء العلماء والادباء انه كان متصفا بجميع صفات العلمية والادبية واصبح منقطع النظير فى عصره وانه لم يكن متضلعا من العلوم والمعارف فحسب بل كان يجيد عددا من اللغات الاجنبية التى تعلمها خلال زيارته للبلدان المختلفة وكان يتقن بوجه خاص اللغة الفارسية والتركية فكان يستطيع ان يعبر فيها عن احاسيسه ومشاعره واما اللغة العربية فهى اصبحت له بمثابة لغة الام ولاريب ان معرفة اللغات الاجنبية قد افادته كثيرا . فنظرا بعلمه الغزير اذن له فى التدريس بالقاهرة فيقول فى رسالة موجهة الى احد من شيوخه ثم اذن بالقاهرة فى درس الحديث فشرعت تدريس صحيح البخارى فى مسجد مشيخون بالسلبية .

ولاجل كله سعى الى الاستفادة من دروسه كثير من رجالات الازهر وصار يملى على المستمعين بعد قرأة شيء من الصحيح حديثا من مسلسلات او فضائل الاعمال كان يسرد كذالك احوال رجال سنده ورواته وبعض الاحيان كان يتبعه ابيات من الشعر

فالناس كانوا يتعجبون من ذالك كله .

ودعاه كثير من الاعيان الى بيوتهم وعملوا من اجله ولاعم فاخرة فيذهب اليهم مع خواص الطلبة والمقرى والمستنبى وكاتب الاسماء فيقرأ لهم شيئا من الاجزاء الحديثة كثلاثيات البخارى او الدارمى .او بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المنزل واحبابه واولاده وبناته ونسائه من خلف الستارة وبين ايديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القرائة ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبى ﷺ على النص المعتاد ويكتب الكاتب اسماء الحضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ويكتب الشيخ تحت ذالك "صحيح ذالك" وهذه كانت طريقة المحدثين فى الزمن السابق .

وطار ذكره فى الافاق كاتبه ملوك النواحى وحكامها من الترك والحجاز واهند اليمن والشام والبصْرة والعراق وملوك الغرب السودان وفزان والجزائر وغيرها وكثرت عليه الوفود من كل ناحية يستجيرون منه فيجيرهم .

ويقول الجبرة عن دروسه " كنت شاهدا وحاضرا" فى غالب هذه المجالس والدروس ومجالس اخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق واماكن اخر كنا نذهب اليها للنذهة مثل غيظ المعدية والازبكية وغير ذالك فكنا نشغل غالب الاوقات بسبد الاجزاء الحديثة وغيرها .(١٤)

زواجه

يقول الدكتور شيال فى كتابه " لم يذكر هو ولم يذكر من ترجم له شيئا عن العسرة التى تزوج منها او تاريخ زواجه ورجح الدكتور الشيا ل ان هذا الزواج تم انعقاده حوالى سنة ١١٨٤ه ويقول فى هذا الخصوص ان تاليف تاج العروس ما كان يستطيع

ان يتم عمله الشاق الا اذا كان يحيا حياة عادية مستقرة اى بعد زواجه ولم يعرف الدكتور الشيال شيئا عن زوجه الا اسمها وهو زبيدة .(١٥)

اما تاريخ زواجه فالجبرتى يقول:

"وكنا سيدنا ابو الانوار بن وفا بابى الفيض وذالك يوم الثلاثاء سابع شهر شعبان سنة ١١٨٢ه. ثم تزوج بعطفه الغسال مابقاء سكنه بوكالة الصاغة التفاصيل".(١٦)وذكر عبد الستار أحمد فراج فيقول" فوجدت قليلا منها فى ابجد العلوم للنواب صديق حسن خان الذى يخبرنا بان اسمها كان زبيدة وكان ابوها ذوالفقار الدينياتى ولقد كان الزبيدى يحب هذه الزوجة حبا شديدا ولما توفيت فى سنة ١١٩٦ من الهجرة حزن عليها حزنا كثيرا ودفنها عند مشهد السيدة رقية وبنى على قبرها مقاما ومقصورة وزوده بالستائر والفرش والقناديل ولازم قبرها اياما طويلة يجتمع عنده الناس والقراء والمنشودون ويعمل لهم الاطعمة الطيبة ."(١٧)

ثم اشترى قطعة عرض مجاورة للقبر وبنى عليها منزلا صغيرا ورساها كثير من الشعراء فكان يجيزهم بالمال الوفير ورساها هو بقصائد ومقطعات اورد منها الجبرتى فى تاريخه عدة قصائد .

ومن الجدير بالذكر انه لم يخلق من هذه الزوجة طفلا او طفلة وبعد وفاتها انه تزوج من امرئة اخرى الا انها ايضا لم تنجب له ذكرا او انثى ... وعلى اية حال ففى عام ١٢٠٥ من الهجرة انتشر الطاعون واصيب به بعد صلاة الجمعة فى المسجد الكردى المواجه بداره ودخل البيت واعتقل لسانه تلك الليلة وتوفى يوم الاحد فى سنة ١٢٠٥ من الهجرة وكتمت زوجه نبأ وفاته فى يومه وشغل اقاربها فى نقل ما خف عمله وغلا ثمنه بل كثيرا من املاكه المنقولة حتى لا يستولى على اغلبه بيت المال ولها قريب فى خدمته الحكام المماليك اذ ذاك ثم اعلنت موته يوم الاثنين

فخرجوا بجنازته وصلوا عليه ودفن بقبر اعده بنفسه بجانب زوجه الاولى بالمشهد المعروف بالسيدة رقية ولم يعلم بموته اهل الازهر ذالك اليوم ولم يرثه احد من الشعراء لاشغال الناس بامر الطاعون فسبحان من يرث الارض ومن عليها .

١ـحيات جليل: ص ٣٢ : مقبول احمد صمدنى

٢ـمجلة معارف : ص ١٠٤ العدد الثانى :الجلد ١٩ (١٩٢٧)

٣ـنفس المرجع:

٤ـالقاموس الاسلامى : ص ٢٤ـ٢٥ احمدعطية

٥ـحيات جليل:ص ٣٥ :مقبول احمد صمدنى

٦ـمجلة معارف : ص ١٠٦ العدد الثانى :الجلد ١٩ (١٩٢٧)

٧ـنفس المرجع :

٨ـتاريخ عجائب الآثار:ص ١٠٤ .الجلد الثانى . العلامة الجبرتى

٩ـمجلة معارف : ص ١٠٧ العدد الثانى :الجلد ١٩ (١٩٢٧)

١٠ـمجلة معارف : ص ١٠٨ العدد الثانى :الجلد ١٩ (١٩٢٧)

١١ـمجلة معارف : ص ١٠ العدد الثانى :الجلد ١٩ (١٩٢٧)

١٢ـمجلة معارف : ص ١٠٩ العدد الثانى :الجلد ١٩ (١٩٢٧)

١٣ـمجلة معارف : ص ١٠٩ العدد الثانى :الجلد ١٩ (١٩٢٧)

١٤ـتاريخ عجائب الآثار : ص ١٠٧ الجلد الثانى العلامة الجبرتى

١٥ـتقديم وتعريف تاج العروس: عبد الستار أحمد فراج

١٦ـتاريخ عجائب الآثار : ص ١٠٧ الجلد الثانى العلامة الجبرتى

١٧ـتقديم وتعريف تاج العروس: عبد الستار أحمد فراج

الفصل الثالث

الأساتذة

الاساتذة لهم دور كبير فى تربية الطلاب وتكوين شخصياتهم فنظر هذه الحقيقة الابدية نود ان ناتى بذكر احول بعض الاساتذة البارعين الذين ساهموا فى تشكيل شخصية العلامة ومن بين هؤلاء الاساتذة اخص بالذكر .

الشيخ صفة الله الخير آبادى

الشيخ صفة الله الخير آبادى الذى كان عالما كبيرا فى عصر حياته وكان يعد من العلماء الربانيين فقرأ عليه االسيد مرتضى قبل ذهابه الى اليمن واستفاد منه كثيرا وقد ابرز العلامة عبد الحى الحسنى بعض ملامح الشيخ صفة الله الذاتية قائلا:

" الشيخ الامام العالم الكبير المحدث صفة الله بن مدينة الله بن زين العابدين بن عبد الوالى بن ابى الفتح بن نظام الدين الرضوى الخير آبادى احد العلماء الربانيين ولد ونشأ بخير آباد وقرأ العربية على من بها من العلماوء ثم سافر للعلم وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ قطب الدين الحسينى الشمس آبادى وقرأ على الشيخ قطب الدين بن عبد الحليم الانصارى السهالوى ولما فرغ من ذلك سافر الى الحرمين الشريفين سنة اربع وعشرين ومأة والف نجح وزار واقام بالمدينة المنورة وأخذ الحديث عن الشيخ ابى طاهر محمد بن ابراهيم الكردى المدنى وعاد الى الهند بعد ثلاث حجات وترك الاشتغال بالمنطق والحكمة قاطبة والتزم تدريس الحديث والتفسير اخذ عنه القاضى مبارك بن دائم العمرى الغوياموى والسيد محمد طاهر الشاه جهان فورى والشيخ محمد خلق كثير من العلماء .

توفى يوم الخميس لثمان عشرة خلون من ذى القعدة سنة سبع وخمسين ومائة وألف. (١)

الشيخ محمد فاخر اله آبادى

ومن اساتذة العلامة الآخرين الشيخ محمد فاخر الذى كان من كبار علماء الهند والمحدثين واحد العلماء المشهورين ولد بمدينة اله آباد سنة عشرين ومأة والف ونشأ فى مهد العلم والمشيخة وبايع الشيخ محمد افضل بن عبد الرحمن العباسى عم والده فى صباه وقرأ الكتب الدرسية على ..... الكبير محمد طاهر واخذ الطريقة عن ابيه وتولى المشيخة بعده فاستقام عليها سبع سنين ثم سافر الى الحرمين الشريفين سنة تسع واربعين نجح وزار الاماكن المختلفة للحجازواخذ الحديث عن الشيخ محمد حياة السندى وقرأ عليه صحيح البخارى وثلثا من اول صحيح مسلم و اجازه محمد حياة اجازه عامة وكتب له اجازة فى غرة شعبان سنة خمسين ومأة والف وبعد ذلك رجع الشيخ محمد فاخر الى الهند . وقد تلمذ العلامة السيد مرتضى على الشيخ فاخر بعد استكمال دراسته بمدينة بلكرام فنال عنه علم الحديث حتى ازداد شوقه ورغبته فى هذا المجال فسافر الى البلاد العربية مثل اليمن والمدينة المنورة واصبح بعد جهود كثيفة عالما كبيرا ومحدثا عظيما .

وكان الشيخ محمد فاخر فريد زمانه فى الاقبال على الله والاشتغال بالعبادة والمعاملة الربانية قد غشيه نور الايمان وسيماء الصالحين انتهى اليه الوراع وحسن السمت والتواضع والاشتغال بخاصة النفس واتفق الناس على مدح شمائله الطيبة وصار مشتسارا اليه فى هذا الباب وكان لايتقيد بمذهب ولايقلد فى شيء من الامور الدينية بل كان يعمل بنصوص الكتاب والسنة ويجتهد برأيه وهو اهل لذلك .(٢)

ومن ابرز آثاره " در التحقيق فى نصرة الصديق " و " قرة العينين فى اثبات رفع اليدين " وله " الرسالة النجاتية " فى العقائد وله منظومة فى مدح اهل الحديث وله الشعر الفارسى التى يحتوى على تفضيل السنة على اصحاب البدعة ولم يكن الشيخ

فاخر يشتغل بالمعقولات والعلوم العقلية . ليى نداء ربه يوم الاحد لاحدى عشر حلون من ذى الحجة سنة اربع وستين ومأة والف بمدينة برهان فور نزهة (٣)

الشيخ محمد زاهد بن حسن محمد الزبيرى السورتى

تلمذ العلامة مرتضى الشيخ محمد زاهد بن حسن محمد الزبيرى السورتى الذى كان من كبار العلماء فى عصره وكان ينتمى الى اسرة زبير بن عبد المطلب القرشى الهاشمى عم رسول الله ﷺ ولد الشيخ محمد زاهد بمدينة سورت ونشأ وترعرع بها وقرأ على المولوى عبد الغفور والشيخ محمد عبد الرزاق الحسينى الآجى وأخذ الطريقة التقشبندية عن الشيخ نور الله ثم عن صاحبه الشيخ نصرالله ثم سافرالى الحرمين الشريفين وتشرف بالحج وزيارة الديار المقدسة ونال الحديث من الشيخ الشهير حياة السندى ورجع الى سورت وشمر عن ساعد الجد لتدريس الاحاديث النبوية ولم يزل يشتغل بها طوال خمسين سنة .

وانه قد الف كتبا ورسائل عديدة نالت قبولا واسعا فى الاوساط العلمية والادبية فمن مآثره "شواهد التجديد" و "ارشاد الطالبين" و " رسائل فى السلوك"(٤)

"شاه ولى الله الدهلوى "

قد تلقى السيد العلامة مرتضى علم الحديث بعد اتمام دراسته عند الشيخ فاخر اله آبادى من شاه ولى الله الدهلوى الذن كان يعتبر من أعظم المحدثين فى عصره ويقصد اليه الطلاب من كل فج عميق ويقرا ؤن عليه الحديث النبوى.فالشاه ولى الله الدهلوى لم يكن محدثا عظيما بل كان عالما كبيرا ومبلغا شهيرا و فقيها متضلعا واديبا بارعا.لاريب فى ان الله تعالى قد فيض الشاه ولى الله الدهلوى فى مطلع الثانية

عشرة للهجرة لان يهدم مبانى الاشرار و الفتن والخبائث و الرذائل التى قد تسربت حينذاك فى المجتمع الهندى .

ولد الشاه ولى الله بيوم الاربعاء الاربعة عشر سنة من شوال سنة أربع عشرة و مأة والف فى أيام الملك المغولى عالمكير كان ابوه عبد الرحيم الدهلوى من نخبة مشائخ دهلى ومن العلماء الذين قد تمكنوا من العلوم الظاهرة والباطنة كليهما فأخذ الشاه ولى الله العلوم والمعارف عن والده وقرأ عليه الرسائل المختصرة من الفنون المتنوعة وصادفه الفراغ من تحصيل العلوم وهو فى الخامس والعشرين من سنه.

لايختلف الاثنان فى ان الشاه ولى الله الدهلوى كان من الرجال البارزين الذين يستنفدون جهودهم المتواصلة ومقدرتهم الابداعية للقضاء على الفساد المنتشر فى المجتمع البشرى فحمل لواء النقد التاريخى و انتقد تاريخ المسلمين بعد الخلافة الراشدة حتى العصر الذى عاش فيه وفى جانب آخر قام بالتعليق على أحوال عصره المظلمة .وتجدر بالاشارة الى أنه خاطب أولاد المرشدين وطلاب العلم و الواعظين الامراء والعسكرين والصناعين والطبقات الانسانية كلها على الانفراد وضع اصبعه على مواطن الخلل و الفساد التى كانت تكدر صفو حياة المجتمع الانسانى .

فتأثر عدد كبير من العلماء والفقهاء والاتقياء بأرائه المثيرة الافكار واعتبروا هولاء الرجال مواعظ الشيخ الدهلوى معالم الطريق الى السعادة الانسانية .فقدم اليهم ما اروى غليلهم من التعاليم الدينية والاصلاحية وجعل الله تعالى فى قلبه نورا كشف به وجوه اسرار الشريعة على أحسن وجه.

ومن نعم الله تعالى عليه أنه خاض فى المذاهب الاربعة بالفقه وعرض على الناس مسلكا معتدلامن القرآن والاحاديث النبوية أحسن بذل جهوده فى التفسير والسنة والفقه والمعانى والبيان والعقائد والتصوف و المنطق والفسلفة .والحق أنه لم يتكلم

أحد من العلماء الفقهاء فى كل اجزاء الشريعة الا الشيخ ولى الله الدهلوى رحمة الله عليه الذى وصلت جهوده الحاسمة الى المستوى الاعلى فى تقديم الأصول والفروع وتبيين المقدمات واستنتاج المقاصد.فكتابه المسمى "حجة الله البالغة" هو عمدة تصانيفه فى علم أسرار الشريعة اذلم يتكلم فى هذا العلم أحد من اسلافنا واكابرنا على هذا الوجه من تأصيل الأصول وتفريع الفروع وتمهيد المقدمات والمبادئى واستنتاج المقاصد.

وبالاضافة الى جهوده الشاقة فى سبيل الدين لا يمكن أن تنسى خدمات الشيخ الدهلوى بصدد تطوير اللغة العربية فى الهند .فهو فى الحقيقة من الادباء البارزين الذين قدموا أغلى التضحيات لتنمية اللغة العربية وازدهارها فى الربوع الهندية."فتح البارى فى ترجمة القرآن" الذى الفها باللغة الفارسية ومنها الفوز الكبير فى أصول التفسير والمصفى فى شرح المؤطا"الدر الثمين فى مبشرات النبى الامين" "شفاء القلوب فى الحقائق والمعارف" "انفاس العارفين وهذا الكتاب الاخير فى الحقيقة رسالة بسيطة تشمل على تراجم أبائه والكبار من اسرته وعلى سيرهم و بعض وقائهم و اذواقهم و معارفهم ما الى ذلك .استأثرت رحمة الله بهذه الشخصية العبقرية اللامعة ظهيرة يوم السبت فى شهر محرم سنة وسبعين مائة وألف بمدينة دهلى فدفن عند والده خارج البلد وعند وفاته كان عمره اثنين وستين سنة .(٥)

عبد الرحمن مصطفى العيدروس

قد تلقى السيد مرتضى علوم الحديث وفنون الادب من كبار الاساتذة المتواجدين حينذاك باليمن وتلمذ على عدد كبير من علماء البلدان الاخرى ولهذاالغرض انه كان انتقل من بلد الى بلد آخر لكى يرتوى غليله العلمى والادبى والدينى وفى نهاية

هـذاالمطاف انه قابل عبد الرحمن مصطفى العيدروسى بمكة المكرمة فقرأ عليه معظم امهـات الـديـنية والادبية واتبـع أوامـره واحـكـامه وجعله قدوة واماما له فى اكثر امور حياته وسافر من مكان الى مكان آخر تحت ارشآدته فبايعاز منه كانت رحلته الى مصر .ومـمـا يبدو ان العلامة المرتضى كان متأثرا للغاية بافكار العيدروسى الدينية و الادبية لاشك فـى أن الشيـخ العيدروسى كان من اعلام عصره و نسيج وحده فهو كان ينتمى الـى الاسـرة التـى تـرفـع نسبهاالى جماعة العلويين التى كانت منتشرة فى بعض اقاليم الهـنـد وعـدن والقاهرة واخص بالذكر منهم ابو بكر عبد الرحمن عبد الله العيدروس- والشيخ بن عبد الله بن الشيخ العيدروس .

واما عبـد الـرحمن العيد روس الحسينى فهو كان من العلماء الكبار فى بلاد اليمن ولد فـى حـضـرمـوت وبـخـاصة فـى بلدة تريم وتوفى بمصر وله "لطائف الجود فى مسألة وحـدة الـوجـود " و تـنـميق الاسفار "جمع فيها مولفات عديدة منهم ما جرى له من الـمـحـادثـات والمناقشات مع بعض الادباء فى أثناء أسفاره له ايضا كتب اخرى فيها "ديـوان تـرويـج البـال و تهيـج البـلبال و" العرف العاطر فى معرفة الخواطر ' منظومة و "اتـحـاف الـخليل" -خ- رسالة فى طريقة النقشبنديةو"النفخات المدنية فى الاذكار و "فتح الرحمن بشرح صلاة أبى الفيتان " و غير ذلك .(٦)

١ـ الاعلام(نزهةالخواطر) ص ١٢٣ ج ٦ عبد الحئى

٢ـ تحريك اهل حديث تاريخ كے آئينه ميں : ١٧٦ . مولانا قاضى محمد اسلم

٣ـ الاعلام(نزهةالخواطر) ص ٢٤١ ج٦ عبد الحئى

٤ـ الاعلام(نزهةالخواطر) ص ١٨١ ج ٧عبد الحئى

٥ـ الاعلام : ص ٤٢٨ ج ٦ عبد الحئى

٦ـ الاعلام(نزهةالخواطر) ص ٣٣٨ ج ٢ الزركلى

الفصل الرابع

إنجازاته في مجال اللغة والبيان

كـان العلامة السيد مرتضى يمتاز من بين أقرانه بهمة عالية وولع شديد بتحقيق مـنجزات علمية وكان يقبل على اكمال كتاب يبدأ تأليفه كأنه أحب وآخر عمل يقوم يـه فى حياته فكان يركز عليه حل عنايته ويبذل فيه كل جهوده ويطالع مآت بل وآلافا مـن الصفحات لاجله ويجمع المعلومات ويحضر المواد ثم يستخدمها وينتفع بها فى اخراج هذا الكتاب او البحث وماكاد ينتهى من عمل حتى يبدء بعمل آخر بدلا من ان يـأخـذ قسـطـا مـن الـراحة ويـروح نفسه من التعب والعنا الذى لاقاه فى سبيل البحث والتـحـقيق وكان يشتغل به بنفس النشاط والرغب كما انه وجد مرشدا ومربيا حكيما وموجها بصيرا مثل عبد الرحمان بن مصطفى العيد روسى الذى يبصره بغوائل ويسقى لـه الـوصول الى مرتبة الاحسان والتزكية وان قصته ومشاعره الداخلية فى ذالك كانت ... الـى حـد كبيـر كـالتـى نشاهدها فى حياة الامام حجة الاسلام الغزالى فانه لما بلغ ذروـة الـفـضـل والـكمال والشهرة العلمية . بدأ له ما كان يشتغل به من اجتهاد علمى وفكرى كسراب وخرج من بغداد فى البحث عن معين العلم الحقيقى والمعرفة .

وكـان مـن الـمزايا الأخرى لشخصيته العلامة الجامعية والشئون فى المعرفة والبحث وقـد كـان خبيرا بالعلوم النقلية والعقلية وكان لغويا مورخا نحويا وادبيا بجانب ذالك كان فقيها ومحدثا فى آن واحد .

ويقول مناظر احسن الجيلانى الذى نقل كتابه :

" نـفـحة قـدسية " الى اللغة الاردوية " ما كان العلامة معروفا فى مصر فحسب بل طار صيتـه فى انحاء العالم والبلدان الاسلامية كلها فاحتلت مكانة رفيعة كاستاذ ومحدث عظيم واديب كبير ولغوى بارع ويستحق ان يعد من الصوفيين واولياء الله"(١)

وقد جاء الشيخ محمد اكرام بذكر العلامة كما يلى :

" ان العلامة مرتضى له كتب عديدة حول الفنون والعلوم المتنوعة وهى نادرة ذات معلومات وافرة وكتابه تاج العروس فى شرح القاموس المحيط يحوى الافا من الصفحات وقد الفه بين فترة اربع عشرة سنة(٢) وبمكان آخر اضاف قائلا :

" هذا امر عجيب بانه اشتهر باتجازاته فى الاحاديث النبوية اكثر منها فى الفن اللغوى حتى حصل منه على الاجازة فى علم الحديث خليفة المسلمين بن عبد الحميد العلامة زاغب باشا مع الطلاب الآخرين الذين يبلغ عدده الى المآت وحاز مكانة رفيعة فى التصوف وقد انتفع به الناس كثيرا فقام بشرح احياء علوم الدين للامام الغزالى باسم " اتحاف السادة المتقيين " .(٣)

لانعرف بالتحديد عدد مؤلفات السيد مرتضى البلكرامى وقد اشار عبد الستار احمد فراح الى عدد مؤلفاته ما يبلغ الى سبع مائة وقد ذهب المحقق الهندى الكبير ابو محفوظ الكريم المعصومى الى ان عدد مؤلفاته يربو على مائة وستين .

قد تناول السيد مناظر احسن الجيلانى موضوع مؤلفات العلامة فى مقال له وجاء فيه كما يلى :

" ان عدد مؤلفات السيد مرتضى حول مواضيع شتى يتجاوز من مائة ومن اشهر كتبه

١ ـ تاج العروس

٢ ـ اتحاف السادة المتقيين شرح الحياء العلوم

٣ ـ تكملة القاموس

٤ ـ الفية السند مع شرحها

٥ ـ الجواهر المنيفة فى تائيد مذهب ابى حنيفة

٦ ـ امالى حنيفة

٧ ـ حكمة الاشراق الى كتاب الآفاق

٨ـ ترويح القلوب بذكر ملوك بنى ايوب

واستطرد الجيلانى قائلا ماعدا المؤلفات المذكورة انفا يوجد له عدد كبير من الرسائل والكتيبات فى الحديث والتفسير التاريخ واللغة وعلم الاسناد والفقه والمنطق والفلسفة . كأنما لايوجد اى فن من الفنون الاولة فيه كتاب او رسالة اما عدد مؤلفاته التى تمت طباعتها حتى الآن فهى تاج العروس شرح احياء علوم الدين والجواهر المنيفة فى اصول ادلة مذهب الامام ابى حنيفة . (٤)

ولا شك فيه ان هذه الكتب كلها الكتب العربية فهى ثروة عظيمة لايمكن الاغماض عنها فى اى عصر من عصور تاريخ اللغة العربية . لقد قام العلامة بتاليف كتب على المواضيع المتنوعة والابحاث المختلفة التى توفر المعلومات النادرة والآراء القيمة. التى يستفيد وينتفع يها الناس طيلة حياته ونظرا الى هذه المالوفات الضخمة يمكن لنا اصدار الحكم بان شخصا واحدا فى بعض الظروف والاحوال ينجز من اعمال علمية هائلة لايستطيع الاكاديميات الكبيرة انجازها وقد اشار الى هذا الجانب الشيخ على الطنطناوى قائلا :

" الزبيدى شارح القاموس من الرجل الذى كان طرازا نادرا فى العلماء والذى كان نموذجا الشيخ الذى جعل (المشيخة) تجارة وصورة للعالم المقرف الثرى والذى بلغ من قدره انه كان من اشهر علماء الارض فى زمانه ونال من الخطوة عند العامة والخاصة وعند الملوك والامراء مالم ينله الاالاقل من العلماء والذى كان شاركا فى كل علم مسلما بكل فن اماما فى اللغةو فى الحديث وفى التاريخ وكان اديبا و شاعرا " (٥)

ولم تطبع كتب العلامة فى البلدان العربية بل قامت مكتبات الهند واوربا ايضا بطباعتها ونشرها وعدد كبير من كتبه ومؤلفاته مالم تطبع حتى الآن . يوجد فى

المكتبات المختلفة بالهند والبلدان العربية الاسلامية والاوربا . وهذا امر عجيب متاسف للغاية بان كثيرا من مؤلفاته التى جاء ذكرها فى كتبه وفى المصادر الاخرى اصبحت الآن مفقودة ولايمكن العثور عليها فيما يلى . اهم مخطوطات التى جاء ذكرها فى احدى مقالات الدكتورسالم قدوائى فهو يقول : اسانيد الكتب الستة " محفوظة فى ذخيرة برلن " الامالى الشيخونية " بيد المؤلف" مكتوبة ومحفوظة فى ذخيرة " برلين" قلنسوة التاج فى بعض احاديث صاحب الاسراء والمعراج المنهج العلمية فى الطريقة النقشبندية . الاجازة لكمال الدين احمد آفندى محفوظة فى ذخيرة" برلين" غاية الابتهاج . تحفة القمائيل فى مدح سيد العرب اسماعيل " بيد المؤلف" القول المبثوث فى تحقيق لفظ التابوت رسالة احاديث تتعلق بفضل يوم عاشورة " بيد المؤلف" مكتوبة ومحفوظة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ايضاح المدارك عن نسب الحواتك بذل الجهود فى تخريج شبينى هود تخريج احاديث الاربعين النبوية التاليقة الجليلة بتاليق مسلسلات ابن عقيلة عقد الجمان فى احاديث الجان معجم شيوخ العلامة الاحوذى شيخ القراء بمصر وكذالك قد اشار المشتشرق الالمانى بروكلمان الى بعض كتبه مثلا سفينة النجاة عقد الجمان عقد اللالى المتناشرة المواعظ الحسنة فى وداع شهر رمضان المبارك ونشوة الارتياح فى بيان حقيقة الميسر والقداح .(٦)

يوجد فى الهند بعض مؤلفاته فى صورة المخطوطات فى مكتبة ندوة العلماء بلكناؤ مثل شعب الايمان القول المسموع فى القرآن بين الكوع والكرسوع قد اثنى اكثر الكتاب والمحققين على مؤلفات العلامة واعترفوا اهميتها ومكانتها الا ان المحقق والناقد الهندى البروفسيور خورشيد احمد فارق الذى يحلل كل شيء تحليلا علميا قد القى عليها نظرة نقدية اذ هو يقول :

"لقد قام العلامة السيد مرتضى بتاليف خمسين كتابا ويقول البعض مائة اذا احصن الرسائل مع الكتب الاخرى ولكن تطبع منها اربعة فقط مثلا تاج العروس واتحاف السادة المتقيين شرح احياء علوم الدين للغزالى ووقود الجواهر المنيفة فى ادلة مذهب ابى حنيفة بلغة الاريب فى مصطلح اثار الحبيب وله كتب اخرى حول المواضيع التقليدية مثل الحديث والفقه الحنفى واللغة والنقد والعلامة لم يكن وحيدا فى تقديم كتب حول المواضيع المتنوعة بل كثير من العلماء قد ساهموا فى هذا المجال وفى رائى كثير من رسائل العلامة وكتبه الف بمساعدة كتب الاخرين والاصح ان معظم كتبه مملوئة بنقل اقتباس الكتب للمؤلفين الاخرين ولاجل ذالك لم تر النور حتى اليوم (٧)"

ومهما يكن من الأمر فقد نال " تاج العروس " شهرة عظيمة وهذا الكتاب فى الحقيقة شرح "القاموس المحيط الذى فيروز آبادى ولاريب فى أن العلامة السيد مرتضى عالج فيه كل كلمة من الكلمات معالجة مستفيضة حتى لم يبق فيها أن نوع من الغموض والتعقيد وكذلك بين معانى الكلمات بالتفصيل مايقنع القارى حتى لاحاجة له للرجوع الى القواميس الاخرى ووطبع هذا الشرح مرات عديدة ومطبعة الوهية الواقعة ارادت اول مرة بطبعه ولكنها لم تنجح فى ارادتها بالكامل اذ انها قامت بنشر خمس مجلدات فقط التى تنتهى الى الحرف العين ومع هذا طبع هذا القاموس كاملافى عشرة اجزاء سنة ١٣٠٧ من الهجرة بمصر والآن الحكومة الكويتية قد قام بطبع هذا القاموس النادر تحت اشراف الاستاذ عبد الستار فراج عبد السلام محمد هرون وكبار العلماء البارعين الآخرين .

وقد ادرج عبد الستار فراج أرائه حول هذا القاموس كمايلى :

" يغلب فى شرح الكتب أن تتميز الشروح عن المصنفات التى تتناولها ويستطيع

القارى أن يعرف ماللمؤلف ومالللشارح من أقوال ولولم توضع بينها فواصل وحدود أماالقاموس وشرحه تاج العوس مأنه لوزايلت الحدود التى تفصل بين المتن والشرح لكان من الصعب معرفة مالهذاأو مالذالك .وهذا والزبيزى ينسب كثيرا من التفى-سير اللغوى الى قائليه ارجاعا لمتن القاموس الى أصوله التى استمر منها وبعد انتهاء المادة التى ألفها الفيروز آبادى وشرحها هو يستدرك مانقص جمعا ذلك من أشتات كتب اللغة وعيرها من الفنون . واذاترك الفيروزآبادى مادة أثبتها الزبيدى فى مستدركاته على القاموس ولاينسى غالبا ان ينبه الى كل مادة اهملها الخليل او ابن حديد او الازهرى اوالجوهرى او ابن سيرة او ابن منظور . فهو رقيب على كل هذه الكتب وغيرها من المعاجم السابقة وبين مافيها من نقص اواهمال"(٨)

ومن اهم كتب العلامة الاخرى "اتحاف السادة المتقين" هو أصلا شرح لاحياء الدين للامام الغزالى فاختار فيه العلامة منهجا جديدا فى علم الكلام والتصوف. وهذا الشرح قد جعله معروفا فى أنحاء العالم الاسلامى كله وذلك لان هذا الشرح مفيد ونافع للغاية فهو موسوعة علمية لفهم وادراك كنه احياء علوم الدين ومعانيه واعترف بمكانة هذا الكتاب الكاتب الشهير دى. بى. ميكدونالدالذى ألف تاريخ العلوم الدينية للاسلام اذ هو يقول

"كان السيد مرتضى من بلدة زبيد باليمن الذى قام بتقديم تشرح مفيد نافع لاحياء علوم الدين وروج وأنشا منهجا جديدا لدراسته فى العصر الراهن" .(٩)

(رود كوثر ص٦١٢)

فطبع هذا الشرح اولا بمدينة ١٣٠٤ه فى ثلاثة عشر جزءا وفى مصر سنة ١٣٢٦ه فى عشرة أجزآء وكذلك له كتب ورسائل اخرى مثل "بلغة الاريب" وتنبيه العارف البصير ورسالة حكمة الاشراق وقد طبع معظم هذه الكتب الا ان بعضا منهاطبع فى الهند ا

يضاوعلى سبيل المثال وقام السيد نواب صديق حسن خان بطبع كتابيه "الازهار المتناثرة او هدية الاخوان فى شرب الدخان ".

وكل ماذكرت حتى الآن كان فى الحقيقة استعراضا مؤجزا لمؤلفات السيد مرتضى ومن ابرز مأثره فى هذا الخصوص كتابه المنظوم النشرية ..... وقبل ختام هذا الحديث أود الاشارة الى ان العلامة كان شاعرا مطبوعا وانه خلف لناالاشعار وكذلك كثير من ابياته واشعاره مبعثرة فى مؤلفاته المختلفة فرسالته المنظومة المعروفة باسم " الدرة العندية فى المشاهد النقشبندية " تحوى خمسين ومائة بيت . ولايختلف اثنان فى ان اشعاره رقة ورصانة تتأثر بها القلوب والنفوس وفى مطالعة أشعاره يعد القارى لذة متعة ويرغب فى ان يحفظها عن ظهر قلبه وهنا التفى بذكر بعض ابياته التى مدح فيها السلطان عبد الحميد خان الذى طلب منه اجازة الحديث المسلسل فهو يقول :

سقى الله ربعا كان لى فيه مربعا
ومغنى به غصن الشبيبة اينعا
وحيا مقاما كان لى جيرة
بهم كاف كاسى بالفصائل مترعا
الادرعا دهر التقصى بالنسيم
ولو لا الهدى ما قلت يوما له رعا
خليلى ما لى كلما لاح بارق
تكاد حصاة القلب أن تتصدعا
وان نسمت ريح الصبا من ديارهم
بكت أعينى دمعابساحل أدمعا (١٠)

وكذلك كان الزبيدى يحب زوجته الاولى حبا جما فلما توفيت فى سنة ١١٩٦هـ

حزن عليها حزنا كثيرا و رثاها بقصائد ومقطعات وقد تأثر على الطنطاوى كثيرا بمثل هذه الابيات حتى قال:

"اذا لهم الله طالبا من طالباالإدب فجعل موضوع الاطروحة يقدمهاالى جامعة "رثاء الشعراء لزوجاتهم" فعد من المتقدمين جريرا ومن المتأخرين اباظة وصدفى فلا ينسى الزبيدى شارح القاموس "(١١)

١ ـ مجلة معارف : ص ١٤٩ العدد الثانی :الجلد ١٩ (١٩٢٧)

٢ ـ رود کوثر: ص : ٦١٢ . شیخ محمد اکرام

٣ ـ نفس المرجع

٤ ـ مجلة معارف : ص ١١٨ العدد الثانی :الجلد ١٩ (١٩٢٧)

٥ ـ رجال من التاریخ : ص ٢٣٠ علی الطنطاوی

٦ ـ افکار و احوال: ص ٩٦ محمد سالم قدوائی

٧ ـ مجلة برهان: ص ٨٦ فروری (١٩٧٩)

٨ ـ تقدیم و تعریف تاج العروس :عبد الستار أحمد فراج

٩ ـ رود کوثر ص :٦١٣ شیخ محمد اکرام

١٠ ـ افکار و احوال:ص ٩٨ محمد سالم قدوائی

١١ ـ رجال من التاریخ: ص ٢٣٥ علی الطنطاوی

الباب الثالث

تاج العروس والقاموس المحيط
دراسة تحليلية ونقدية

الفصل الأول

نشأة المعجم العربي

إن اللغة تتطور و تزدهر مع مرور العصرو الزمن و معنى الكلمات و مفهومهاأيضا تتغير و تتبدل فى الأوضاع المختلفة وعملية التغير والتبدل هذه تقوم بدور عظيم فى اثراء أى لغة من لغات العالم.وبما ان الانسان لا يستطيع ان يستوعب او يحفظجميع الكلمات و محل استعمالها فى وقت واحد لإبداء احاسسيه و مشاعره و اظهار اتطباعاته نحو الاشياء التى تدور حوله .فلايزال يحتاج الى أى كتاب أو قاموس أو معجم يثبت له مرجعا أصليا ما يوصله الى غايته المنشودة و مراده المطلوب ومن هنا نلاحظ ان القواميس والمعاجم لاتزال تلعب دورا هاما فى الوصول الى المفهوم الاصلى للكلمات وترشد الانسان الى الانتقاء كلمات ملائمة للتعبير عن الأحاسيس و المشاعر التى تجول و تجيش فى ذهنه و قلبه.فلا بد للانسان المثقف من أن ينال قسطا وافرا من المعلومات عن حقائق الكلمات قبل استخدام أى قاموس أو معجم لكى يستفيد به كثيرا و يوضح و يبين أراء ه و أفكاره فى بكلمات ملائمة ساذجة جذابة ذات تأثير بالغ عميق.

و لايختلف اثنان فى ان للقاموس و المعجم أهمية كبرى و وظيفة هامة فى مجال اللغة و تطويرها فالقواميس والمعاجم تعاون كثيرا فى تذليل الصعوبات اللفظية التى يجدها القارى أثناء مطالعة الكتب التى قام بتأليفها الأدباء البارعون و الشعراء المرموقون وذلك لان القواميس تبين و توضح الكلمات العويصة فى جمل بسيطة أو فى كلمات معدودة يمكن لكل واحد منا ان يفهمها بدون أى تعقيد و صعوبة .وفنظرا لاهمية القواميس والمعاجم الفت وصنفت كثير منها عبر القرون و الأزمنة المختلفة و لذا أعتقد بان المعرفة عن تاريخ تطور المعاجم والقواميس و نشأتها .و شئى اساسى للباحث قبل أن يقوم باستعراض تحليلى و

نقدى لاى قاموس من القواميس الشهيرة ففى هذاالسياق نذكر فيما يلى المراحل المختلفة لتاريخ المعاجم والقواميس .

نشأة المعجم العربى :

ومما نلاحظ ان اللغة العربية مثل لغات العالم الاخرى مرت عادة بمرحلة النطق قبل مرحلة التدوين ـأى أنها كانت في بادئ دى بدء مقصورة على ألسنة المتكلمين بها. لامسجلة فى بطون الكتب .

و الأصل فى الكلمات أن تكون مدلولتها مفهومة عند الناطقين بها.. يقول سابير(Sapir)العالم اللغوى الانجليزى المعروف : ان اللغة أخاديد التى نجدها على أسطوانة الفونوغراف.(١)

للغة علاقة وطيدة مع الافكار والاراء فهى تتطور بتطور الفكر نفسه.والانسان لايسطيع أن يحفظ كل الثروات اللغوية القومية.مهما أوتى له من حدة الذكاء و قوة الذاكرة وسعة الخيال و فضلا عن ذلك فانه يجد بعض الاحيان كلمات لايعرف معناها بدقة ووضوح و من هنا تبرز أهمية المعجم كمرجع للباحثين عن معانى الالفاظ التى استغلق عليهم فهمها وآدابها .

وعلى هذا النحو اذا أشكل على العرب فهم لفظة من ألفاظ القرآن الكريم رجعوا الى آثارهم الأدبية و بخاصة الشعرية منها . ليعرفوا معناها و قد جاء فى كتاب القرطبى "الجامع لأحكام القرآن " أن سعيد بن جبير و يوسف بن مهران سمعوا ابن عباس يسأل عن الشئ من القرآن فيقول فيه كذا وكذا أما سمعتم الشاعر يقول كذا و كذا و قد روى عن ابن عباس أنه قال "اذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب(٢)

و يظهر أن الدافع الى جمع اللغة و تأليف المعاجم هو حاجة العرب الى تفسير ما استغلق عليهم من ألفاظ القرأن و رغبتهم فى حراسة كتابهم من أن يقتحمه خطأ فى النطق أو الفهم.

تعريف المعجم :

المعجم أو القاموس "كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسيرمعانيها.على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا اما على حروف الهجاء أو الموضوع المعجم الكامل هو الذى يضم كل كلمة فى اللغة مصحوبة بشرح معناها و اشتقاقها و طريقة نطقها و شواهد تبين مواضع استعمالها.(٣)

لايعرف بالتحديد متى أطلقت كلمة " المعجم " بالمعنى المتعارف عليه اليوم وكذلك لا يعرف اسم من أطلقها لأول مرة بمعنى الكلمات والمفردات .و يظهر من المصادر التى وصلت الينا. أن رجال الحديث كانوا الأسبق فى استعمال هذه الكلمة بالمعنى الشائع اليوم.و أن الامام البخارى (٨١٠ ـ ٨٧٠م) قد كتب فى صحيحه "باب تسمية من سمى من أهل بدر فى الجامع (أحد البخارى) الذى و ضعه ابو عبد الله (أى البخارى نفسه) على حروف المعجم"(٤)

و أن أبا يعلى أحمد بن على بن المثنى و ضع معجما سماه "معجم الصحابة " و أن ابو القاسم عبد الله محمد عبد العزيزالبغوى و ضع كتابين فى أسماء الصحابة سماها "المعجم الكبير" و "المعجم الصغير" ثم ما لبثت أن أطلقت هذه اللفظة على كثير من الكتب فى القرن الرابع الهجرى .و عن المحدثين أخذ اللغويون كلمة "المعجم " بمعناها المتعارف عليه اليوم .

أما كلمة " قاموس " فكانت تعنى البحر أو البحر العظيم أو و سطه أو معظمه أو أبعد موضع فيه غورا .و يظهر أن بعض علماء العربية الاقدمين الذين حاولوا جمع اللغة .كانوا يطلقون على

مؤلفاتهم اسما من أسماء البحر أو صفة من صفاته .فأطلق الصاحب ابن عباد(٩٣٨_٩٩٥م)على معجمه اسم "المحيط"و أطلق ابن سيده (١٠٠٧_١٠٦٦)على معجمه أسم "المحكم و المحيط الأعظم" و سمى الصاغانى (١١٨١_١٢٥٢م)معجمه "العباب "أو "مجمع البحرين" الى أن جاء الفيروزآبادى (١٣٢٩_١٤١٥م)فأطلق على معجمه اسم "القاموس المحيط" و نال " القاموس المحيط" ثقة العلماء و طلاب العربية لما امتاز به من ايجاز و ضبط و دقة .فلما طبع و اشتهر فى الاوسط العلمية والادبية .أصبح أهم المرجع لدى الادباء والعلماء لمعرفة مفردات اللغة كانوا يعتمدون عليه للتميزبين الصحيح و غيره من الألفاظ .و بين القديم و المولدو بين العربى و المعرب حتى تولد لكلمة "قاموس" معنى جديد فى أذهان الناس.فكانوا يقومون:"قاموس" لكذا .....أى جامع لعلمه .'(٥) و الجدير بالذكرهنا أن كلمة "قاموس " اليوم تطغى على كلمة "معجم" فى الشهرة .اذأخذ كثير من مؤلفى المعاجم ـ بخاصة ثنائية اللغة منهاـ يطلقون على معاجمهم كلمة "قاموس".

المعاجم العربية القديمة :

لقد قام الدكتور حسين نصار فى كتابه (المعجم العربى) بتصنيف شامل للمعاجم العربية القديمة فقسمها الى أربعة أقسام على اساس أربع مدارس رئيسية.

المدرسةالاولى:

الامام الذى تزعم هذه المدرسة هو الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠_١٧٠) فى معجمه (العين) وقد قام فيه بضبط اللغة و سار فى ذلك بمنهج جديد.فبحث ـ أولا ـ فى نظام الحروف كى لا تختلط فيمابينها فاعتمد على مخارجها فيما بين الحتجرة و الشفتين و رتب الحروف مبتدئا بالابعد فى الحلق ومنتهيا بما يخرج من الشفتين وأقصى المخارج فوضعها بالترتيب التالى:

خ-ح-ه-خ-غ-ق-ك-ج-ش-ض-ص-س-ز-ط-ذ-ت-ظ-ذ-ث-ر-ل-ن-ف-ب-م-و-ا-ى-ء.

ثم رتب الخليل الكلمات على اساس الأبنية لان الكلام العربى على اربعة اصناف: ثنائى وثلاثى و رباعى وخماسى.

ومن مميزات الكتاب العناية بلاسماء .....و تفسيراتها خاصة اذا كانت متصلة بالاشتقاق ...والمعانى الثانوية والمجازية و المولدة .و للكتاب مختصر لابى بكر محمد حسن الزبيدى المتوفى سنة (٣٧٩)

و من المعاجم من هذا النوع (البارع)و هو لاسماعيل بن القاسم القالى البغدادى (٢٨٨-٣٥٦)و (تهذيب اللغة) لابى منصور بن أحمد الازهرى....

المدرسة الثانية:

يترأس هذه المدرسةابو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الازدى(٢٢٣-٣٢١) فى معجمه (الجمهرة) وهو قام فيه بترتيب الحروف بترتيب (الالف البائىّ) المعروف الرائج .وقد قسم ابن دريد معجمه (الجمهرة) على اساس الحروف كما فعل الخليل والابنية لديه ثلاثية و رباعية وخماسية .وعنى ابن دريد فيه بالمعرب و الدخيل ولكن عنايته بهما لا تصل الى درجة التنظيم التى بلغهاالخليل.

ومن المعاجم من هذا القبيل مجما اللغة لاحمد بن فارس المتوفى فى ٣٩٥.ومقاييس اللغة له ايضا .والمحيط لابى القاسم بن عباد(٣٢٤=٣٨٥)

المدرسة الثالثة:

تأتى فى نطاق هذه المدرسة المعاجم كالصحاح لابى القاسم بن حصاد الجوهرى المتوفى فى ١٠٠٨م.و مختار الصحاح ابو حاتم احمد بن حمدان الرازى المتوفى ٣٢٢.و العباب الزاخر للصغانى (٥٧٧-٦٥٠) ولسان العرب لابن المنظور (٦٣٠-٧١١)و القاموس للفيروزآبادى (٧٢٩-٨١٧) وتاج العروس للزبيدى (١١٤٥-١٢٠٥) وتشترك هذه المعاجم فى اساس التقسيم الذى يتغير من اولها الى آخرها وهو الاساس الذى يعتمد على تقسيم

المعجم الى ابواب وفقاللحرف الآخير من الكلمات. وتقسيم كل باب الى فصول وقفا للحروف الوسطى.

واماالمدرسة الرابعة فهى تضم انواعا مختلفة من معاجم.

وهنا اود ان اقدم بعض القواميس و المعاجم المشهورة .

كتاب العين

مؤلفه:

الخليل بن أحمد (٧١٨-٧٨٦م) ولد فى عمان لكنه نشأ و تعلم وعلم بالبصرة فاشتهر بالبصرى ينتسب الى بطن فرهود من قبيلة الأزد فعرف بالفراهيدى برز فى العلوم اللسانية من نحو و لغة وشعر كما كان بارعابالعلوم الرياضية و الشرعية و الموسيقى .له "كتاب العين" وهو معجم لغوى وصل الينا ومؤلفات عديدة لم يصلنا شيء منها لكن كتب الطبقات ذكرت أسماء بعضهاو منها "النقط و الشكل " و النغم" و "العروض"و الشواهد"و "الجمل" و "الايقاع ".(٦)

منهجه:

بدأ الخليل كتابه بمقدمة طويلة أوضح فيها الطريقة التى سار عليها فى وضع كتابه ذاكرا مخارج الحروف و بعض النواحى الصوتية التى تراعى فى تأليف الكلمات موضحا أن اتحاد مخارج الحروف أو تقاربها قد يكون سببا فى اهمال بعض الكلمات و ان الكلمات الرباعية و الخماسية لا بد من ان تشتمل على أحد الحروف الزلاقية التى يجمعها قولك (مر بنفل) والا كانت الكلمة أعجمية. أما المنهج الكتاب فاتسم بما يلى:

١ .رتب المواد حسب مخارجها وفق النظام التالى / ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن/ ف ب م / و ي ا /.

٢ . نظم الكلمات تبعا لحروفها الأصلية (الجذور) دون مراعاة الأحرف الزائدة فيها. أو الأحرف المقلوبة عن أحرف أخرى وهذا المبدأ ظل متبعا فى المراحل الأربع الأولى من مراحل تطور المعجم العربى .

٣ .اتبع نظام التقليبات الذى ابتدعه بنفسه.فعالج الكلمة ومقلوباتها فى موضع واحد . فمثلا نجد الكلمات: ع ب د ـ ع د ب ـ دب ع ـ ب ع د ـ ب د ع ـ كلها فى مادة واحدة و تحت حرف العين (لأن العين أسبق من الباء والدال حسب ترتيبه المخرجى للحروف) بقطع النظر عما نطقت به العرب منهابسبب (ويسميه الخليل مستعملا) و عما لم تنطق به (و يسميه مهلملا) لذلك استهل معجمه بمادة "عق" ثم "عك" وكان عليه أن يبدأ بمادة "عح" ثم "عه " لكنه يعثر على كلمات تتألف من العين و الحاء أو من العين و الهاء و قد لاحظ الخليل أن الكلمات الثنائية لا تأتى من حروف متحدة المخرج أومتقاربة.

٤ .جعل معجمه أقساما على عدد الحروف وسمى كل قسم أو كل حرف كتابا وبدأ معجمه بكتاب العين فكتاب الحاء فالهاء وهكذا وقد سمى كتابه باسم الحرف الاول منه من باب تسمية الكل باسم الجزء.

٥ .أخضع تبويب الكلمات لنظام الكمية أولنظام الأبنية فرتب كلمات كل كتاب (باب) حسب الترتيب التالى)

١ ـالثنائى : و هو عنده ما اجتمع فيه حرفان من الحروف الصحيحة و لو مع تكرار أحدها او تكرار الحرفين معا نحو"لو"و "قد" و"قد"و "قدقد" ...الخ

ب ـ الثلاثى المعتل وهو ما اشتمل على حرفين صحيحين وحرف علة و أحد سواء أكان مثالا نحو"وعد" أم أجوف نحو "قال " أم ناقصا نحو " جرى "

د ـ اللفيف وهو عنده ما اجتمع فيه حرفا علة فى أى موضع فيشتمل بالتالى اللفيف المفروق نحو "وشى " و اللفيف'المقرون" نحو "شوى"

هـ ـ الرباعى وهوعنده تألف من أربعة أحرف نحو "دحرج"

و ـ الخماسي وهو ما كان على خمسة أحرف كسفرجل وجعل الرباعي و الخماسي في باب واحد لقلة الالفاظ التي وردت منها ثم انهى كل بحث بالمعتل مدخلا فيه الهمزه بحجة أنها قد سهل الى أحد حروف العلة نحو "بئر" و "بير" "ذئب" و "ذيب".

٦ ـ كان يأتي بالشواهد في معظم ما يفسره و كانت هذه الشواهد مستمدة من الشعر و الحديث الأمثال و القرآن لكن اعتماده على الشعر والقرأن كان كثيرا.

٧ ـ أثبت كثيرا من رجال السند وبعض هؤلاء من معاصريه لكن أكثرهم من تلامذته كالاصمعي (٧٤٠ـ٨٣١)و أبي عبيدة (٧٢٨ـ٨٢٤) و سيبويه (٧٦٥ـ٧٩٦)

و كتاب العين فيه كثير من الأخطاء و الهنات و الصوى و هذا الامر غير مستغرب لانه الرائد في المعاجم فلم يستفد من تجارب غيره. ولعل أهم المآخذ التي وجهت اليه صعوبة استعماله لترتيبه المبني على النظام الصوتي و نظام التقليبات واشتماله على كثير من التصحيف الذي يعود في معظمه الى عدم تنقيطه و انفراده بكثير من الالفاظ و اشتماله على أخطاء صرفية و اشتقاقية وعلى حكايات عن المتأخرين ووصفه بعض الأبنية المستعملة بالمهملة .

أثره:

لا نعلم معجما كان له أثر ككتاب العين. وهذا الامر غير مستغرب لمعجم افتتح التأليف المعجمي فوضع للغويين منهجه وسن لهم سنته حتى أضحت السمات التي اتسم بها مبادئ التزم بها كثير ممن أتوا بعده و حذوا حذوه في التأليف المعجمي .فترتيب المواد حسب نظام معين في ترتيب الحروف لا حسب الموضوعات ـ كما كان شائعا في عصره ـ أصبح السمة العامة لمعظم المعاجم التي أتت بعده. والترتيب المخرجي التزم به أكثر من معجمي وترتيب المواد وفق أحرف أصولها سارت عليه المعاجم اللغوية العربية و الاتيان بالشواهد نراه في معظم المعاجم التي ألفت بعده.وكذلك القول بالنسبة لنظام التقليبات الذي ابتدعه والتقسيم حسب الأبنية الذي سار عليه.

و قد ألفت بعض الكتب لاكمال نقصه منها "الاستدراك على العين" للسدوسي و "التكملة"

للخازرنجي التشتي. كما وضعت بعض الكتب لنقده و ابراد النقص فيه. ومنها "استدراك الغلط الواقع في العين" لأبي بكر الزبيدي و "غلط العين" للخطيب الاسكافي كما وضع بعض اللغويين كتبا للدفاع عنه ومنها "التوسط" لابن دريد و "الرد على المفضل" لنفطويه و "الانتصار للخليل" للزبيدي كما اختصره الزبيدي نفسه في معجم سماه "مختصر العين" و هو معجم يتفق مع كتاب العين في الترتيب الاجمالي و شرح المفردات بحيث اعتبرت دائرة المعارف الاسلامية عند كلامها على الخليل أن مختصر العين يعتبر افضل كتاب يقول مقام "العين"(٧)

الجمهرة

مؤلفه:

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المولود فى البصرة (٨٣٨-٩٣٣م)أحد أئمة اللغة والأدب .أشتهر بسعة الحفظ و قوة الذاكرة درس على أبى حاتم السجستانى و العتبى كما تتلمذ عليه السيرافى و أبو الفرج الاصفهانى و ابن خالويه والزجاج .له "الاشتقاق " و" المقصور و الممدود" و "المجتنى "و" تقويم اللسان" و معجم "المجهرة "و هو المعجم الثانى الذى وصل الينا بعد معجم "العين "و يقع فى ثلاثة مجلدات أضاف اليها المستشرق كرنكو مجلدا رابعا للفهارس(٨).

منهجه:

ان كان الخليل قد حاول - باتباعه نظام التقليبات -استقصاء كل مفردات اللغة فان ابن دريد -رغم اتباعه هذا النظام -أراداختيار جمهور كلام العرب.يقول معللا تسمية كتابه "و انما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب و أرجأنا الوحشى المستنكر و يقول فى مكان آخر من المقدمة "على أننا ألغينا المستنكر و الوحشى" أما منهجه فقد اتسم بما يلى:

١-لم يتبع النظام الخليلى فى تقسيم الكتاب الى كتب فيجعل كتاب للهمزة و آخر للباء و ثالثا للثاء بل جعل نظام الأبنية أساسا لتقسمه مع مراعاة نظام الألفاباء و نظام التقليبات الخليلى فى آن واحد.و تفصيل ذلك أن ابن دريد صنف الأبنية كالخليل الى:

أ- الثنائى: وفيه يدمج كل الكلمات التى تتركب من حرفين صحيحين بل فصل فى ذلك فذكر الثنائى غير المضاعف و حده ثم الثنائى المشدد الآخر أو ما يسميه الصرفيون الثلاثى المضاعف نحو "مد" ثم الثنائى الذى كرر فيه القطع أى الرباعى المضاعف (ويسمية الرباعى

المكرر) ثم الثنائى المعتل و هو اللفيف عند الصرفيين.

ب ـ الثلاثى و ألحق به الثلاثة أبواب هى المضاعف دون ادغام نحو كعك ـ دون ـ بتت. و المعتل العين و المعتل اللام .

ج ـ الرباعى و ألحق به ما يشتمل على حرفين مثلين نحو "كركم" و "رمدد" و "قرقر" و "جدجد" ثم ما جاء على وزن "فعل" و "فعل" و "فعل" ثم ما جاء على وزن "فيعل" و "فوعل".

د ـ الخماسى. و قد عالجه ابن دريد كما حلا له اذ كان كلما خطر له وزن معين عقد له بابا خاصا.

ثم قسم ابن دريد هذه الأبنية الى ابواب وفقا لنظام الألفباء الذى قال عنه انه "بالقلوب أعبق و فى الأسماع أنفذ و ذلك باعتبار الحووف الأصول و حدها و التدرحج من أول الكلمات الى آخرها مراعيا أن يبدأ كل باب بالكلمة التى تبدأ بالحرف المعقود له الباب آخذا بالحرف الذى يليه تاركا ما سبقه .فباب الجيم مثلا تصدره بالجيم و الحاء ثم الجيم و الخاء فالجيم و الدال و هكذا الى آخر الحروف دون أن يذكر الجيم مع الحروف التى تستقها فى النظام الألفبائى (و ثى الهمزؤ الباء والتاء و الثاء) لأنه يكون قد ذكرها فى الأبواب السابقة لسبب اتباعه نظام التطبيقات الخليلى . فللبحث عن معنى كلمة "قعود" مثلا يجب أن نجرد هذه الكلمة من الحرف الزائد (الواو) و نبحث عنها فى مادة "قعد" الموجودة فى بناء الثلاثى السالم وفى الترتيب الألفبائى و كلمة "اشارة" المشتقة من مادة "شور" نجدها فى باب الثلاثى المعتل وفى باب الراء لأن هذا الحرف أسبق من الشين و الواو فى الترتيب الألفابائى المعروف.

٢ ـ لم يلتزم طريقه واحدة بالنسبة لحرف الهمزة فكان يعتبرها تارة حرف علة كما فعل متقدمو اللغويين و تارة أخرى حرفا صحيحا كما فعل المتأخرون .فقد ذكره فى باب الثنائى "أب" "أت" ...الخ لكنه عندما جاوز الثنائى أغفل ذكر الهمزة لحرف صحيح .و قد ألحق ببناء اثلاثى بابا خاصا سماه "النوادر فى الهمزة"

٣ـ التبر تاء التأنيث هاء أصلية فى الكلمة فذكر الكلمتين "حبة" و" عفة" مثلا فى مادتى "ح ب ب ه "و "ع ف ف "و قد اعتذر له المستشرق كرنكو محقق معجمه بأن الدافع الى هذا هو جهل من ألف لهم الكتاب الذى لم يكونوا يفرقون بسهولة بين ما فيه الهاء أصلية و بين ما هى فيه زائدة للتأنيث.

٤ـتعسف أحيانا فى توضيح معانى بعض الكلمات من حيث اشتقاقها و بخاصة أسماء الأعلام المنقولة و كان لابن دريد شغوفا بهذه الناحية من الاشتقاق وقد وضع كتابا فى اشتقاق الأسماء.

٥ـاهتم بالنوادر وقد ألحق بباب الثلاثى بابا سماه "النودر فى الهمزة" كما اهتم باللهجات .

٦وقع كثيرا فى التكرار.

ج- أثره :

لم يكن للجمهرة أثر مهم فى سيرة التأليف المعجمى كما كان لبعض المعاجم العربية الأخرى لكننا مع ذلك نجد أن هناك بعضا من الدراسات قامت حوله منها "فائت الجمهرة" لأبى عمر الزاهد (توفى سنة ٣٤٥هـ)و " جوهرة الجمهرة"للصاحب بن عباد (٩٣٨ـ٩٩٥م)و الدراسات الأخرى ولكن هذه الدراسات قد فقدت جميعا.

لسان العرب

أ_مؤلفه:

محمد بن مكرم بن على بن منظور الأفريقى (١٢٣٢_١٣١١م) ولد بمصر (وقيل:فى طرابلس الغرب)و خدم فى ديوان الأنشاء بالقاهرة ثم ولى القضاء فى طرابلس و عاد الى مصر فتوفى فيها وقد ترك بخطه نحو خمسمئة مجلد منها "مختار الأغانى" و "أخبار أبى نواس" و "مختصر مفردات ابن البيطار" و معجم "لسان العرب"و هو أشهرها جميعا.(٩)

ب_منهجه:

يظهر أن ابن منظور أراد أن يجمع من اللغة كل ما استطاع جمعه منها.لذلك جاء معجمه أضخم المعاجم االلغوية العربية حجما مشتملا على ٨٠ ألف مادةوعلى عدد من المشتقات يصعب احصاؤه. وقد بدأه بمقدمة افتتحهابتحميد وصلاة ثم ذكر شرف اللغة العربية و ارتباطها بالقرآن .ثم نقد "التهذيب"و "الحكم" و"الصحاح" .ثم وصف منهجه والدافع الى وضع معجمه.وبعد المقدمة أثبت بابا فى تفسير الحروف المقطعة فى اوائل بعض سور القرأن وبابا آخر فى ألقاب حروف المعجم وطبائعها و خواصها .أما منهجه فيتسم بمايلى :

١_اتبع نظام القافية الذى ابتكرهاالجوهرى رغم طول المدة بينهما و رغم ظهور بعض المعاجم التى اتبعت الترتيب الهجائى العادى (أى حسب أوائل الكلمات) مثل "المجمل" لابن فارس و"أساس البلاغة "للزمخشرى.

٢_ اهتم بأشعار العرب و باللغات و بالقراءات وبالنوادر و بقواعد اللغة كما أكثر من ذكر أسماء الرواة الذين اقتبس عنهم مما جعل كتابه أشبه بالموسوعة اللغوية منه بالمعجم كما يقول أحمد فارس الشدياق فى الخصوص.

٣_جمع مادته_ كما يصرح فى مقدمة معجمه من خمسة كتب هى :تهذب الازهرى ومحكم

ابـن سيـدة وصحاح الجوهرى وحواشى ابن برى ونهاية الارب لابن الأثير وكان همه منصرفا الى تدوين ما فى المعاجم السابقة دون ابداء رأيه أحيانا كثيرة حتى أنه يعيد الأخطاء الواردة فى معجمه الى المصادر التى نقل عنها.

٤ـصدر بعض أبوابه بكلمة عن الحرف المعقود له الباب ذاكرا فيها مخرجه وأنواعه و خلاف النحويين فيه وائتلافه مع غيره.

٥ـأكثر من الشواهد على المعانى المختلفة يسوق فى ذلك نصوصا من القرأن الكريم والحديث النبوى الشريف والشعر و الأمثال و الخطب.

٦ـدون كل ما وقف عليه من المواد ومشتقاتها ويبدو أن ابن منظور كان يرى أن المعجم يجب ألا يقتصر على تدوين الصحيح فقط كما فعل الجوهرى فى "الصحاح "بل من حق جميع المفردات العربية أن تسجل فيه.

أما المآخذ التى وجهت الى لسان العرب فأهمها الفوضى المشترية داخل مواده وتركه بعض الصيغ و المعانى التى يوردها أحد مراجعه واقتصاره فى المراجع على التهذيب والمحكم و الصحاح و التنبيه و النهاية و اهمال غيرها مما أدى الى أن يفوته كثير من الصيغ و المعانى والشواهد و النفوذ.

ج- أثره

أقبل الناس على "لسان العرب " يقتنونه كما أقبل عليه بعض اللغويين يعيدون طباعته مرتبين مواده حسب أوائل حروفه الأصول ووضعت بعض الدراسات حوله كـ"تصحيح اللسان لأحمد تيمور باشا و"تهذيب اللسان " لعبد الله اسماعيل الصاوى كما تتبع أخطاء ه بعض اللغويين كتوفيق داود قربان وعبد الستار أحمد فراج.

المنجد

أ_ مؤلفه

هـولـويـس بـن تـقـولا ضاهر المعلوف (١٨٦٧_١٩٤٦)أحد الآباء اليسوعيين ولد فى زحلة (بـلبـنـان) . تـعلم فى الكلية اليسوعية ببيروت.درس الفلسفة فى انجلترة و اللاهوت فى فرنسا وأجـاد عـدة لـغات شرقية وغربية .تولى ادارة جريدة "البشير"فى السنة ١٩٠٦.توفى ببيروت تاركا خلفه معجما باسم "المنجد".(١٠)

ب_منهجه

لا شك فـى أن الأب لـويس المعلوف عندما وضع معجمه فى السنة ١٩٠٨قد أحسن اختيار الاسـم "الـمنجد" (اسم فاعل من أنجد) ذلك أن مهمة هى "أنجاد"الباحث عندمايستغلق عليه فهـم كلمة أو كتابتها أوطريقة نطقها .لكنه سبق الى هذه التسمية اذ استعملها على بن الحسن الهنائى المعروف بكراع النمل عندماوضع معجما سماه "المنجد"

لابـد مـن الاشارة قبل البدء بتعداد سمات منهج "المنجد"الى أن هذاالمعجم هوأكثر المعاجم الـعربية طبـاعة حتـى الآن اذ طبـع أربـعا وعشرين طبعة وقد أضاف اليه الأب فردينان توتل فى طبـعتـه الـخـامسة عشـرة التـى ظهـرت فـى السنة ١٩٥٦ملحقا باسم "المُنْجد" فى الأدب و الـعلـوم"وهو معجم لأعلام الشرق و الغرب والكتب و البلدان.فأصبح يعرف باسم "المنجد" فـى الـلـغة و الادب و الـعـلـوم" و هـو يتضمن حسب طبعته الرابعةو العشرين الى جانب المتن مـقـدمة الـطبـعة الـحـادية و الـعشـريـن وقائمة بالاصطلاحات المستعملة فيه وبعض الأحكام الـقيـاسية وستـا و ثـلاثيـن لـوحة مـلونة تتضمن رسوم الحيوانات و السفن والأسلحة ووسائل المواصلات و الآلات الموسيقية و غيرها و ملحقا لطائفة من المفردات التى لم ترد فى المتن و ملحقا أخر فى الأمثال و الأقوال السائرة عند العرب بالاضافة الى القسم المخصص للأعلام اما

أهم سماته فتتخلص بما يلي:

١ـ رتب الكلمات حسب أصولها وفق النظام الألفبائي .ثم قسم كل مادة الى فصائل مختلفة وفقا لمعانيها متسخدما الترقيم في ايراد هذه المعاني.

٢ـ وضع الفعل المضاعف الثلاثي في أول المادة .فالفعل "مد" مثلا نجده في المادة (م د) كما رد كل كلمة الى أصل ثلاثي فالمضاعف الرباعي نحو "زلزل"رد الى الأصل "زل"و "ململ" ذكر في المادة "مل" و "دحرج" في "دحر"....الخ

٣ـ استعمل أكثر من ثلاثين اصطلاحا للدلالة على اسم الفاعل (فا) و اسم المفعول (مفع) و الجمع (ج) وجمع الجمع (جج) المصدر(مص) و المؤنث(م) والمثنى (مث)وحركة عين المضارع ومختلف العلوم ....الخ

٤ـ استعمل العلامة // لتقويم مقام الكلمة المفسرة سابقا . و العلامة ://و ــ لتقويم الكلمة المفسرة اذا كانت فعلا .فتجنب بذلك تكرير اللفظ كما استعمل العلامة "☆"بعد الكلمة ليشيرالى أن هناك في فصيلة أخرى من المادة كلمة مترادفة لها معنى مختلف.

٥ـ حذف الشواهد الروايات النوادر و ما اليها.

٦ـ اهتم بالترتيب و الشكل و الاخراج فحاكى أحدث المعاجم الأوربية فنا في هذا المجال كما أكثر من الصور الموضحة .وكان ذلك للمرة الأولى في تاريخ المعاجم العربية .

٧.قسم كل صفحة الى ثلاثة أنهر ووضع في أعلاها كلمتين تدل الأولى منهما على المادة الأولى فيها و تشير الثانية الى المادة الأخيرة .

٨ـ كتب المواد اللغوية بلون أحمر وبخط مشبع كما كتب متفرعاتها به ايضا لكن دون اشباع وذلك "تسهليلا لاستعمال الكتاب وضنا بوقت القارئ"

٩ـ أكثر من الاعتماد على "محيط المحيط" حتى أن "المنجد" يعد مختصرا له مع الرجوع الى "تاج العروس " أحيانا كثيرة و دون ذكر المراجع و المصادر اللغوية التي اعتمد عليها.

ج- أثره

يعتبر "المنجد" اليوم اكثر المعاجم العربية شهرة و أوسعها انتشارا ويكفى أن نتذكر عدد طبعاته الأربع و العشرين المطبوعة حتى الآن لنقدر اقبال الناس عليه فى الدول العربية كافة .وقد اختصره فؤاد أفرام البستانى رئيس الجامعة اللبنانية بمعجم سماه "المنجد الابجدى "خصيصا للطلاب(وقد ظهرت منه ثماني طبعات حتى السنة ١٩٦٦) مرتبا فيه الكلمات حسب نطقها على نحو ما هو معروف فى المعاجم الأجنبية .

و بالرغم من المجهود الكبير الذى بذله الأب لويس المعلوف و القائمون على دار المشرق كى يأتى "المنجد" سليما من الأخطاء خاليا من العيوب فان الكمال لم يتحقق لهذا المعجم فتصدى بعض الغيارى على العربية لتبيان أخطائه و هناته حتى أننا لا نعلم معجما تعرض للنقد و تبيان العيوب ما تعرض له "المنجد" و لعل أهم الذين انتقدوه عبد الله كنون و منير العمادى وسعيد الأفغانى و عبد الستار فراج ومازن المبارك وحسين نصار و عمر الدقاق و ابراهيم القطان .

١ـ نحو عربية مسيرة :ص ١٣٦ لانيس فريحة

٢ـ الجامع لاحكام القرأن :ص ٢٤٠ المجلد الاول لقرطبى

٣ـ مقدمة الصحاح :ص ٨٣ (أحمد بن عبد الغفور عطار)

٤ـ نفس المرجع :٣٨(أحمد بن عبد الغفور عطار)

٥ـ المعجم العربى بين الماضى والحاضر :ص ٤٩٠ (عدنان الخطيب)

٦ـ الاعلام : ص ٣١٤ المجلد الثانى (الزركلى)

٧ـ دائرة المعارف الاسلامية . مادة "الخليل"

٨. الاعلام :ص ٨٠. المجلد السادس.(الزركلى)

٩ـ الاعلام : ص ١٠٨ المجلد السابع (الزركلى)

١٠ـ الاعلام : ص ٢٤٧ المجلد الخامس (الزركلى)

الفصل الثانى

تاج العروس والقاموس المحيط

دراسة تحليلية ونقدية

ان القاموس المحيط يعد صورة متطورة للصحاح الذى الفه العلامة الجوهرى قد تم تأليفه فى القرن التاسع الهجرى وهو خير شاهد على الذكاء النادر للمؤلف السيد مجد الدين الفيروزآباى و كثرة اطلاعه على مصادر اللغة والبيان وبما ان القاموس المذكور قد ظهر بعد تأليف "لسان العرب" فليس من العجيب أن صاحبه قد استخرج منه فائدة عظيمة و استفاد به كثيرا وكان لسان العرب يعد من أعظم قاموس من القواميس المتواجدة فى ذلك العصرو حاز قبولا حسنا قبل تاليف القاموس المحيط و لكن لما ظهر"القاموس المحيط" و انتشر بين الناس و فاق القواميس المعاجم الأخرى لاقى عجابا وتقديرا واسعا منقطع النظير فتهافت عليه العرب والعجم و استفادوا منه كثيرا حتى ظهر كتب عديدة فى شرحه و بالطبع تأليف الشروح لأى كتاب أو قاموس يستفيد منه عامة الناس و خواصهم يعتبر أكبر دليل على أهميته و عظمته.

ولد الزبيدى فى الهند و أتم معظم تعاليمه فى وطنه ثم رحل الى زبيد المدينة الواقعة فى اليمن.وأقام فيها واستفاد كثيرا من علماء ها وادباء ها فتلمذ عليهم لفترة طويلة من اليمن انه شد رحاله متموجها الى القاهرة بعده متنقلا فى المناطق المختلفة من العالم الاسلامى و اشترك فى الاوساط العلمية والأدبية وكان عمره حينذاك يتجاوز الثلاثين وكانت تغتبط نقسة بأن يكون طالبا فأينما وحيثما يظهر بصيص من انوار العلم فيسرع اليه ويبذل كل جهوده للاستفادة.

كانت مدينة القاهرة فى ذلك الوقت تعد من اكبر مركز علمى فى البلدان العربية وذلك لان مدينة بغداد و دمشق لم تزدهر بعد سقوط الاندلس كما ازدهرت و تقدمت مدينة القاهرةالتى كانت تقودحقا البلاد العربية فى القرنين الحادى و الثانى عشر فنال الزبيدى قسطاوافرا من العلوم المختلفة من علماء القاهرة و استفاد منهم كبيرابعدوصوله اليها ثم هاجر من مكان الى مكان آخر لحصول العلم من المدن الأخرى مثلا "اسيوط"و دمياط"من مناطق مصر و اشتهر فى ذلك الوقت الزبيدى كعالم كبير و ذاع صيته الى البلدان العديدة و قد ازادت شهرة بكثرة اسفاره لأن التعاريف بين الناس والسمعة لا يمكن نيله الا أن يقابل الرجل مع الناس أو طبع كتابه وانتشر بين الناس.

و ليس من ريب فى أن السيد الزبيدىْ قد لقى كثيرا من العلماء فى المجالات المتنوعة وكذلك الطلاب والاساتذة واتيحت له الفرصة بأن يراهم عن كثب.فاينما ذهب وجد الكتب التى كان يمتلكها الناس و انكشف له بأن أغلبية العلماء والرجال مولعون بأن يستفيدوا من القاموس المحيدّ للمجدالدّين الفيروزآبادى و اليه يرجعون بشأن المناقشة العلمية والادبية فازدادت أهمية القاموس لديه و كان له غرام شديد للمطالعة فلم يرتو ابدا من منهل ولا شك فى ان الغليل العلمى يعتبر من أهم فرع من فروع العلم و أن الانسان لا ينال غايته و مقصده حتى أن يبدى نحوها انهماكه و يمعن فيه و يتنافى فيه نظره كليا.

فبدأ الزبيدى تأليف تاج العروس حوالى سنة ١١٨٤هـ بعد قدومه الى مصر بستعة

أعـوام و سـنـه آنـذاك كـانت تسعة و عشرين عاماو انتهى من تأليفه سنة ١١٨٨هـ و استـغـرق تـأليف الـجزأ الاول ستة أعوام و بضعة أشهر.و انتهت الأجزاء التسعة الباقية فـى سبعة أعوام و بضعة أشهر.فالجزء الأول استغرق تأليفه نصف الزمن الذى ألف فيه الـكتـاب جميعه ماذلك الا لأنه بدأ عملا جديدا وأخذ وقتا طويلا فى تجميع الكتب الـمتـعـلـقة بهـذا الـمـوضـوع حتى ذللت أمامه الصعاب و فتحت الأبواب و وضح له السبيل فسلكه بعد ذلك بدون تأخير.

كتب الـزبيـدى جـمـيـع الأجـزاء بـنـفسـه بعد الكتابة أنه يسلم مسوداته الى تلاميذه ليتبيضوها و يراجعوها و النسخة المبيضة كانت بخطوط مختلفة متقاربة فى الجمال و الاتقان من ناحية الحظ فيقول عبدالستار فى هذا الخصوص:

"هـذه الـنسـخة الـمبيضة هى التى أخذها منه محمدبك أبوالذهب حينما أنشأ جامعة المعروف به بالقرب من الأزهر وعمل فيه خزانة للكتب وعوضه عنها مبلغا من المال و هـذه الـنسـخة مـوجـودة الآن بدار الكتب بالقاهرة وفى خزانة المكتبة التيمورية بدار الـكتـب بـالقاهرة جزء ان من تجزئته بخطه وفى مكتبة الأزهر قطعة من الكتاب بخطه أيـضـا.و يـقول الزبيدى فى مكتوب له الى أحد شيوخه وهذا المكتوب موجود مثبت فـى كـتـاب ابـجـد الـعلوم "مما من الله تعالى أنى كتبت على القاموس شرحا غريبا فى عشـر مـجلدات كوامل جملتها خمس مائة كراس مكثت مشتغلا به أربعة عشر عاما و شهـريـن اشتهـر أمـره جـدا حتـى استكبه ملك الرويم نسخة وسلطان دار فور نسخة- ومـلك الـمـغرب نسخة منها موجودة فى وقف أمير اللواء محمد بيك بمصر وبذل فى

تحصيله ألف ريال و الى الأن الطلب من ملوك الأطراف غير متناه.(١)

يقول العلامة الجبرتى" ان محمد بيك أبا الذهب عوضه عنه مأة ألف درهم فضة .(٢)".

وهذا يشير الى رغبة ملوك الناس فى اللغة وعنايتهم بها.أن القاموس و لم يلعب دورا عظيما فى تطوير المجتع العربى فى الفترة الوسطى من التاريخ فحسب بل ترك أثرا على الرجال المتدينين من مختلف البلاد مثلا الفارس تركيا والهند.فيقول اى.هيود فى هذاالصدد.(٣)

" It is clear that lexicography was an important and very highly esteemed branch of Arabic scholarship in Medival period . Not only did it play a large part in cultural life of Arabs themself , it also influenced the lexicography of other Islamic people such as the Persian, Turks and Indain."

لاشك فى ان الزبيدى نال فائدة كبرى فى اشتراك مجالس اللغويين و سمع منهم عن المعاجم العديدة و كذلك استفاد من المنافشة التى دارت بينه بين اللغويين و كانت هذه البيئة و الجو تهز قلبه الى مزيد من مطالعة الكتب المؤلفة حول القواميس المعاجم و ان النقصائص والعيوب المتواجدة فيها قد أصبحت من أهم الاسباب لتأليف تاج العروس.

فيذكر الزبيدى فى المواضيع الشتى نقائص القواميس و و ضح و بين اسبابا لها فلما عقد عزمه على كتابة الشرح للقاموس المحيط . تناول و قام بمطالعة جميع الشروح للقاموس المحيط بالاسهاب واعجبه شرح الفاسى شديد الاعجاب و فجعله مصدرا

اساسا لتأليف تاج العروس .والجدير بالذكرهنا أن شروح القاموس المحيط الاخرى لقد مهدت له السبيل و ساعدته كثيرا.

ولما فرغ من كتابة الشرح فاحتفل ذلك اليوم فى كل بقعة من بقاع القاهرة .وكان الزبيدى أيضا مسرورا و فرحا غاية الفرح و دعا الطلاب والمشائخ و القادة الى الطعام وسرعان مابلغ صيت التاج الى أنحاء العالم فطلب الملوك من جميع الممالك نسخا لهذا القاموس و أصبح هذا القاموس زينة للمكتبات حتى حازقبولا حسنا عند الملوك و الأمراء . فيقول الجبرتى فى ترجمة مؤلفه.

"ان الزبيدى لما أكمل شرح القاموس أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم و أشياخ الوقت بغيط المعدية .و ذلك فى سنة احدى و ثمانين و مأة و ألف و اطلعهم عليه و اغتبطوا به و شهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه فى علم اللغة و كتبوا عليه تقاريظهم نثرا و نظما فممن قرظ عليه شيخ الكل فى عصره الشيخ على الصعيدى و الشيخ أحمد ا الدريرو السيد عبد الرحمن العيدروس وغيرهم الأخر منهم الشيخ محمد سعيد البغدادى الشهير بالسويدى"(٤)

تزداد وعظمة القاموس للزبيدى فى حين نشاهد أن المكتبات العربية فى ذلك العصر كانت زاخرة أهمية بالقواميس الهامة.

و مع ذلك فاق كتاب الزبيدى قواميس الآخرى و بدأ الناس يقولون بانهم ليسو ا بحاجة لاى قاموس آخر بعد تاج العروس.و يشير الى هذا الجانب هيود فى كتابه "Modern Arbic Literature (1880-1970)"(٥)

"This then was typical of literary scene on the eve of the "Renaissance". In fact the most influenetical Arabic book written in the 18th century was the large scale dictionary "Tajal_ Aurus" compiled by the Egyptian Murtaza.

وقد حان الوقت أن ابرزاهم ميزات لتاج العروس ومكانته بين المعاجم و القواميس الاخرى و كذلك أود أن القى نظرة فاحصة الى اساليبه الرائعة و مقاصده العالية التى عرضها مؤلفه فى مقدمته وبعد ذلك سآتى بعض الأمثلة من القواميس الأخرى و اقوم بعملية المقارنة بين تاح العروس والماجم الاخرى حتى يتضح للقارى عظمته و تفوقه على القواميس الاخرى.

ففى هذا الخصوص لابد لى من الاشارة رسالة الزبيدى التى ألفها عن اللغة و أجاب بها سؤالا رفعه بعض الناس اليه حول قضية هامة لغوية وطلبوا منه ان يوضح الفرق بين "الكوع والكرسوع"

و قدقام بعض مترجمى الزبيدى بذكر هذه الرسالة فى قائمة مؤلفاته بكونها مؤجزة و لكن مفيدة لانجد اسم هذه الرسالة فى اى مكان آخر ما عدا فهرسة الكتب التى اعدها السيد النواب حسن خان.وفى هذه الفهرسة يقول النواب حسن سمى الزبيدى هذه الرسالة باسم "القول المسموع فى الفرق بين الكوع و الكرسوع و ذكرفى هذا الصدد بعض أقوال من أصحاب المعاجم و منهم لجوهرى و الليث بن نصر سيار الخراسانى صاحب الخليل ابو الد الاعرابى صناغانى ابو الشعثاء العجاج ابن منظور و

زمخشري وأمثالهم الذين يؤيدون آراء الزبيدى التى جاوبها فى رسالته الانفة الذكر ماتؤيد أرائه ازاء تلك القضية اللغوية .وبعد هذا التوضيح المؤجز نديف الآن الى ذكر المقاصد و الهداف التى اراد السيد الزبيدى بتحقيقها بتألف معجمه فهو يلقى الضوء على هذة الاهداف والمقاصد فى مقدمة تاج العروس كما يلى .:

المقصد الأول: فى بيان اللغة هل هى توفيقية أو أصلاحية

المقصد الثانى: فى سعة اللسان

المقصد الثالث: فى علة أبنية الكلام

المقصد الرابع : فى المتواتر من اللغة و الآحاد

المقصد الخامس : فى بيان الافصح

المقصد السادس : فى بيان المطرد و الشاذ و الحقيقة و المجاز المشترك والأضداد

المقصد السابع : فى معرفة آداب اللغوى

المقصد الثامن :وفيه نوعان: النوع الاول فى بيان مراتب اللغويين و فيه فرعان .الاول فى بيان أئمة اللغة من البصريين وبيان أسانيدهم ووفياتهم و كناهم .

النوع الثانى: فى بيان أول من صنف فى اللغة وهم جرا.

المقصد التاسع : فى ترجمة المؤلف

المقصد العاشر: فى أسانيد المتصلة الى المؤلف

ولامراء فى أن القارى يتحير و يتعجب على سعة علمه و حدة ذكائه بعد القاء نظرة عابرة على المقاصد الذكورة . و يعترف بأن الزبيدى يستحق أن يعد من كبار

اللغوين.

وفى نفس المقدمة أبرز الزبيدى أهمية هذا القاموس و مكانته فى الاوساط العلمية و الادبية بقوله التالى فيقول:

"لعمرى هذا الكتاب اذا حوضر به فى المحافل فهو بهاء و للافاضل متى وردوه ابهة.قد اخترق الآفاق مشرقا و مغربا و تدارك سيره فى البلاد مصعدا و مصوبا وانتظم فى سلك التذاكر و أفاضه ازلام التناظر و مد بحره الكامل البسيط وفاض عبابه الزاخر المحيط وجلت مننه عند أهل الفن وبسطت أياديه و اشتهر فى المدارس اشتهار أبى دلف بين محتضره و باديه وخف على المدرسين أمره اذتناولوه و قرب عليهم مأخذه فتداولوه و تناقلوه"(٦) و أستطرد قائلا بعد تقديم قائمة لعديد من الكتب التى استفاد منها بانه بذل جهودا مكثفا فى اعداد هذا المعجم فيقول:

" و لم آل جهدا فى تحرى الاختصار وسلوك سبيل التنقيه والاختبار وتجريد الألفاظ عن الفضلات التى يستغنى عنها فى حط اللثام عن وجه المعنى عند ذوى الأفكار"(٧)

وبعد هذا كله نود الآن ان نضع كلمات الزبيدى على محك الانتقاد فى ضوء ما قاله العلماء و الادباء الآخريون من المتقدمين والمأخرين عن هذا الشرح فيقول الدكتور نثار أحمد الفاروقى عن هذا المعجم:

" يعد تاج العروس من امهات الكتب العربية وحين عنى " أروادلين " المستشرق بوضع معجم عربى انجليزى فى مجلدات كثيرة كان تعويله على "تاج العروس " و "لسان العرب" وهى تشتمل على أكثر من ثلاث ألاف صفحة كثيرة "(٨)

ومن الحق ان بأن معظم القواميس والمعاجم الموجودة حاليا يتعلق بتاج لا تحمل فى طياتها ترجمة كبار الرجال من الفنون المختلفة ولكن الامر ليس كذلك فيم وذلك القارى يجد فيه تراجم كبار الرجال والشخصيات من الميادين المختلفة و قد أشار الدكتور نثار الفاروقى الى هذه الميزة لتاج العروس بكلمات التالية:

"من ميزات "تاج العروس " أنه يغنيك فى اللغة عن سائر اللغات و يحتوى على شرح مفصل لمفردات الالفاظ وأضاف الشارح المذكور ما فات الفيروزآبادى تحت عنوان "مما يستدرك عليه " فيضمن هذا الشرح الكبير كثيرا من رجال العلم والحديث والتفسير الذين لا توجد تراجمهم فى كتب المتداولة لأسماء الرجال"(٩)

وانفرد تاج العروس بهذه الميزة من القواميس الأخرى وامتاز و تفوق . و يمكن لى أن اقول ان هذا القاموس لاينتفع به اللغويون و الطلاب فحسب بل يستفيد منه كل من يرغب فى أن يعرف عن كبار الرجال فى فن الحديث والفقه و النحو وما الى ذلك . فهذا القاموس فى الحقيقة أهم وسيلة للعثور على الالفاظ الصعبة بالاضافة الى تراجم الرجال الكبار والشخصيات الفذة المعروفة فى الميادين المختلفة من العلم و الادب والفن وكل من يرجع الى هذا القاموس بهذه الحقيقة بحيث ان القارى لا يمل و يتعب من مطالعته بل يفتح هذا المعجم أمامه جوانب عديدة نحو كلمة واحدة و تنشأ فى قلبه رغبة وشوق ما يساعده الى امعان النظر فى كل كلمة لفظ وجدها خلال مطالعة الكتب الأدبية والمؤلفات القيمة النادرة من الفنون الأخرى فيما اعتقد ان هذا هو الدور الاكبر لتاج العروس بحيث أنه يلقى فى نفس الانسان شوقا و رغبة فى علم

اللغة الذى يعد من العلوم الجافة غير ممتعة .

ويبدو من الملائم هنا أن آتى بذكر ما قاله الاديب الهندى الشهير ابو السيد ابى الحسن على الحسنى الندوى عن هذا القاموس و فى خطاب ألقاه فى ندوة عربية منعقدة فى مدينة حيدرآباد بالهند(CEFIL)حول موضوع "تعلم اللغة العربية وعواملها " ففى هذا الخطاب مدح الندوى العلامة الزبيدى بكلماته الآتية:

"جرى الحين على لسانى اسم القاموس أمامكم و لايوجد شرح مفصل مثل تاج العروس للقاموس فى اللغات العديدة التى أعرفها و قد ألفه أبن (أوده) و فخر الهند العلامة السيد مرتضى البلكرامى و الشهير بنسبة الزبيدى حتى عدد كبير من المثقفين يزعمونه يمينا.و تم كيل هذا الكتاب بالذهب حقيقة لا مجازا و كان المؤلف فى قيد الحياة .ودعاه أعظم الملوك والسلاطين آنذاك لقدومه الى بلادهم و حازوا منه الشهادة وقد كتب المؤرخون أن مجلسه فى القاهرة كان مثل بلاط الملوك و أسئلكم:ماكان العامل الاساسى للسيد مرتضى ؟ عامل سياسى أم اقتصادى؟ أما العامل السياسى فقد كانت البلاد العربية كلها أنذاك تحت حكم الاتراك وعلاقة تركيا لسياسة مع الهند لم تكن قائمة وماكان هذا عهد السفارات والخدمات الرسمية أى جاذبية كانت أمام السيد مرتضى أن يتقن اللغة العربية الى حد أنه يؤلف شرحا للقاموس حتى لو كان العلامة مجد الدين فيروزآبادى حيا بيد السيد"(١٠)

و لاريب فى انه لايمكن شرح تام لأى كتاب أو قاموس حتى يوجد التطابق العقلى و التماثل النادر والبالغ بين المؤلف وشارحه.و خير شاهد على هذا التطابق والتوافق

الزبيدى وشرحه تاج العروس و قد أشار عبد الستار اللغوى الى هذه النقطة الهامة بقوله الآتى :

" يغلب فى الشرح الكتب أن تتميز الشروح عن عن المصنفات التى تتناولها ويستطيع القارى أن يعرف ما للمؤلف وما للشارح من أقوال و لولم توضع بينها فواصل و حدود. أما القاموس و شرحه تاج العروس فانه لو ازيلت الحدود التى تفصل بين المتن والشرح لكان من الصعب معرفة ما لهذا أو ما لذلك"(١١)

و بالايجاز يمكن لى أن أقول بأن الزبيدى قد ناقش وبحث فى مقدمته عن مراحل تطورية مختلفة للعلوم المتنوعة و تاريخها وخاض بعدذلك فى توضيح بعض العلوم الذى يعتبر أساسا لكتابة القاموس :

وهكذا قام العلامة الزبيدى بانجاز مهمتين عظيمتين :

أولا أنه تناول موضوع القواميس و قدم تحليلا علميا من حيث مبادئ كتابة القاموس وفهمها فهما دقيقا مثلا أصول الكلمات و دورها فى فهم قاموس اللغة العربية .

ثانيا أنه تناول كذلك موضوع مادة الكلمة ومشتقاتها مع رعاية دقيقة لمبادى القواميس بالاضافة الى تعريف شخصية ذكرت فى القاموس و استدركاته القيمة على مجد الدين فيروزآبادى حتى لو جمعت استدركات الزبيدى فى تاج العروس لكونت قاموسا جديدا .

ومن هنالا نبالغ اذا قلنا ان تاج العروس فى الحقيقة درة الثانى عشر الهجرى و لايوجد له مثيل وتحفة نادرة غالية جاء بها ذهن هندى متوقد .وهى ايضا عصارة

مؤلفات الجوهرى والأزهرى والصاغانى وابن منظور وفيروزآبادى .و لذلك تزداد أهمية و عظمة هذا القاموس فى الابداع اللغوى و ذخائر الكلمات العربية بمرور الوقت . فهذه المساهمة القيمة من جانب العالم الهندى السيد مرتضى لاتزال تفوح رائحته كل اصقاع العالم العربى و لاتنساه حلقات علمية وأدبية عبر الزمان و لايزال اسم السيد مسجلا بأحرف ذهبية فى تاريخ علم اللغة .

و أخيرا اقدم بعض الامثلة التى تبرز من جانب عبقرية السيد مرتضى فى منهجه لكتابة القاموس ومن جانب آخر تبين الفرق المتواجد بين القاموس المحيط و لسان العرب ففى هذه الامثلة يمتاز العلامة عن اللغويين الآخرين بأسلوبه العلمى المتين واللغوى المملوء بالتوجيهات واحاطة المعنى بالايجاز فمثل بخصوص كلمة "لسع" و تفاصيلها اللغوية المذكورة يكتب العلامة الزبيدى كما يلى .

(ل س ع)

(لسعت الحية والعقرب كمنع) تلسع لسعا كما فى الصحاح اى (لدغت) وقال الليث :اللسع للعقرب تلسع بالحمة ويقال ان الحية تلسع وزعم أعرابى ان من الحيات ما يلسع بلسانه كلسع العقرب بالحمة و ليست له أسنان (هو ملسوع و لسيع) و كذلك الأنثى والجمع لسعى و لسعاء كقتيل و قتلى و قتلاء .

(و) لسع (فى الأرض : ذهب) فيها عن ابن عباد.

(أو لسع لذوات الابر) من العقارب و الزنانير و أما الحيات فانها تنهش و تعض وتجذب وتنشط ويقال للعقرب :قد لسعته و لبسته و أبرته و و كعته و كوته قال

الازهرى هذا هو المسموع من العرب (و) قال الليث :يقال :اللسع لكل ما ضرب بمؤخره (اللدغ بالفم)

(و) من المجاز :انه للسعة كهمزة) أى (قراصة للناس بلسانه) وقد لسعة بلسانه اذا آذاه و عابه .

(ولسعى كسكرى : ع) عن ابن دريد قال :يقصر (ويمد) و فى التكملة :بلد على ساحل بحر اليمن .

(هاد ملسع كمنبر : حاذق) ماهر بالدلالة عن ابن عباد و كذلك مسلع .

قال: (و) اللسوع (كصبور: المرأة الفارك) زاد الزمخشرى :تلسع زوجها بسلاطتها وهو مجاز.(و اللسوع بالضم :الشقوق) كالسوع عن ابن عباد.

(و) من المجاز : ألسع بينهم) و آكل : اذا (اغرى) كما فى المحيط الاساس .

(والملعسة كمحدثة : الجماعة المقيمون) قال أبو داود يصف الحادى :

مفرقا بين الاف ملسعة قد جانب الناس ترقيحا و اشفاقا

(و) الملسعة (كمعظمة : المقيم الذى لا يبرح) زادوا الهاء للمبالغة قاله الليث و به فسر قول امرئ القيس :

ملسعة بين أرباقه به عسم يبتغى أرنبا

أى: تلسعه الحيات و العقارب فلا يبالى بها بل يقيم بين غنمه وهذا غريب لان الهاء انما تلحق للمبالغة أسماء الفاعلين لا اسماء المفعولين و يروى : مرسعة و قد فسرنا معنى البيت هناك فراجعه .

☆ومما يستدرك عليه ☆

رجل لساع كشداد عيابه مؤذو هو مجاز .

و لسع الرجل :أقام فى منزله فلم يبرح.

واللسيع كصيقل :اسم أعجمى وتوهم بعضهم أنها لغة فى اليسع .

وألسعته : أرسلت اليه عقربا تلسعه .

و أتتنى منه اللواسع اى :النوافر من الكلم وهو مجاز .و يقولون :النفس حية لساعة مادامت حية للساعة .

وفى الحديث : "لا يلسع المؤمن من جحر مرتين" و يروى " لايلدغ "واللسع و اللدغ سواء وهو على المثل قال الخطابى روى بضم العين و كسرها فالضم على وجه الخبر ومعناه :أن المؤمن هو الكيس الحازم الذى لا يؤتى مرة وهو لا يفطن لذلك و لايشعر به و المراد به الخداع فى أمر الدين لا أمر الدنيا و أما بالكسر فعلى وجه النهى أى :لا يخدعن المؤمن و لايؤتين من ناحية الغفلة فيقع فى مكروه أو شر وهو لا يشعر به و لكن يكون فطنا حذرا وهذا التأويل أصلح لأن يكون لامر الدين الدنيا معا .

اخترت المثال الآتى لتبين الفروق المتواجدة بين القواميس الثلاثة اى (لسان العرب و قاموس المحيط و تاج العروس)

وكذلك الفرق المتواجد (بين القاموس المحيط و تاج العروس بالنموذج التالى.

(باب الهمزة)

(الفصل الهمزة) الاباءة كعباءة القصة ج أباء موضع ذكر كما حكاه ابن جنى عن

سيبويه لا المعتل كما توهمه الجوهرى و غيرها و أبأته بنهم رميته به .(القاموس المحيط)

(باب الهمزة)

الباب لغة :الفرجة التى يدخل التى منها الى الدارويطلق على ما يسد به و يغلق من خشب و نحوه .و اصطلاحا : اسم لطائفة من المسائل مشتركة فى حكم و قد يعبر عنها بالكتاب وبالفصل وقد يجمع بين هذه الثلاثة .

(فصل الهمزة)

ويعبر عنها بالالف المهموز لأنها لا تقوم بنفسها و لا صورة لها فلذا تكتب مع الضمة واوا ومع الكسرة ياء.

(أ ب أ)

(الأباءة كعباءة : القصبة) أو هو أجمة الحلفاء والقصب خاصة كذا قاله ابن برى (ج أباء) بالفتح والمد) .وقرأت فى مشكل القرآن لابن قتيبة فى باب الاستعارة قول الهذلى وهو المثلم.

و اكحك بالصك أو بالجلا ففتح لكحلك أو أعمض

و أسعطك فى الانف ماء الابا ء يمثل بالمخوص

قال :الاباء : القصب وماؤه شر المياه يقال :الأباء هنا : الماء الذى يبول فيه الاورى فيشرب منه العنز فيمرض وسيأتى فى المعتل ان شاء الله تعالى (هذا موضع ذكره) أى فى الهمزة (كما حكاه) الامام ابوالفتح (ابن جنى) وارتضاه فى كتابه سر الصناعة

نقلا (عن) امام اللغة (سيبويه) و قال ابن برى :وربما ذكر هذا الحرف فى المعتل وليس مذهب سيبويه (لا) فى باب (المعتل) يائيا أو واويا على اختلاف فيه (كما توهمه الجوهرى) الامام أبونصر (وغيره) يعنى صاحب العين .

وقرأت فى كتاب المعجم لعبيد الله ياقوت ما نصه :فأما أباءة فذهب أبو بكر محمد بن السرى فيما حدثنى به أبو على عنه الى أنها من ذوات الياء من أبيت فأصلها عنده أبابة ثم عمل فى عبابة وصلابة و عظاية حتى صرن عباءة و صلاءة وعظاءة فى قول من همز و من لم يهمز أخرجهن على أصولهن وهو القياس القوى و انما حمل أبا بكر على هذا الاعتقاد فى أباءة أنها من أبيت و ذلك أن الأباءة هى الأجمة وهى القصبة و الجمع بينها وبين أبيت أن الأجمة ممتنعة بما ينبت فيها من القصب و غيره من السلوك والتطرق و خالفت بذلك حكم البراح والبرازوهو النقى من الارض بكانها ابت و امتنعت على سالكها فمن هنا حملها أبوبكر على أبيت و سيأتى المزيد فى أشى.(و أباته بسهم رميته به) فالهمزة فيه أصلية بخلاف أثاثه و (تاج العروس).

اخترت المثال الآتى لتبين الفروق المتواجدة بين القواميس الثلاثة اى (لسان العرب و قاموس المحيط و تاج العروس).

(قمطر) كسجل القوى الضخم و الرجل القصير كالقمطرى كزبعرى وما يصان فيه الكتب كالقمطرة وبالتشديد شاذ و ذكر الجوهرى هذه اللفظة بعد قمطر وهم والتى تجعل فى ارجل الناس والقمطرى مشية فى اجتماع و قطر اللبن و أخذه قاطر كعلابة

وهـو خبـث يـأخـذه مـن النفحة و كلب قطر الرجل به عقال من اعوجاج ساقيه و يوم قـاطر كعلابة وقطريرشديد و اقطراشتدوالعقرب اجمعت وعطفت ذنبها و قطر اجتمع والجارية جامعما والقربة شدها بالوكاء.(القاموس المحيط)

لسان العرب (المجلد الخامس)

قمطر : القمطر :الجمل القوى السريع وقيل :الجمل الضخم القوى قال جميل :

قمطر يلوح الودع تحت لبانه

اذا ارزمت من تحته الريح ارزما

ورجل قمطر :قصير وأنشد ابو بكر لعجير السلولى:

قمطر كحواز الدحاريج أبتر

القمطر والقمطرى :القصير الضخم .مرأة قمطرة :قصيرة عريضة عن الاعرابى وانشد:

وهبته من وثى قمطرة

مصرورة الحقوين مثل الدبرة

والقمطر والقمطرة :شبه سفط يسف من قصب

وذئب قمطر الرجل :شديدها و كلب قمطر الرجل اذا كان به عقال من اعوجاج ساقيه قال الطرماح يصف كليا:

معيد قمطر الرجل مختلف الشبا

شرنبث سوك الكف شثن البراثن

وشر قمطر وقماطر ومقمطر

واقمطر على الشيء :تزاحم واقمطر الشر:تهيأ .ويقال :اقمطرت عليه الحجارة أى تراكمت واظلت قالت خنساء تصف قبرا :مقمطرات و أحجار.والمقمطر:المجتمع.واقمطرت العقرب اذا عطف ذنبها وجمعت نفسها.

وقمطر المرأة وقمطر جاريته قمطرة :نكحها .وقمطر القربة :شدها بالوكاء .وقمطر العدو أى هرب عن الاعرابى .

ويوم مقمطر و قماطر وقمطرير :مقيض ما بين العينين لشدته وقيل :اذا كان شديدا غليظا قال الشاعر:

بنى عمنا هل تذكرون بلاء نا

عليكم اذا ما كان يوم قماطرة

بضم القاف .واقمطر يومنا :اشتد .وفى التنزيل العزيز : أنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا. جاء فى التفسير:أنه يعبس الوجه فيجمع ما بين العينين هذا شائع فى اللغة.وشر قمطرير:شديد.الليث : شر قماطرو قمّطر وقمطر وانشد:

و كنت اذا قومى رمونى رميتهم

بمسقطة الاجمال فقماء قمطر

ويقال :اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها و جمعت قطريها وزمت بأنفها والمقمطر : المنتشر.واقمطر الشيء :انتشر وقيل تقيض كأنه ضد قال الشاعر :

قد جعلت سبوة تزبئر

تكسو استها لحما وتقمطر

التهذيب: ومن الاحاجى :وأبيض سطرا أسود ظهرا يمشى قمطر .ويبول قطرا ؟ وهو القنقذ .وقوله :يمشى قمطرا أى مجتمعا .وكل شئى جمعته فقد قمطرته.والقمطروالقمطرة :ماتصان فى الكتب .قال ابن السكيت :لايقال بالتشديد وينشد:

ليس بعلم ما يعى القمطر

ما العلم الا ما وعاه الصدر

الجمع قماطر:(لسان العرب)

(ق م ط ر) (تاج العروس)

(القمطر كسجل : الجمل القوى) السريع وقيل : الجمل (الضخم) القوى .قال حميد بن ثور .

قمطر يلوح الودع فوق سراته اذا رزمت من تحته الريح ارزما

(و) القمطر : الرجل القصير) الضخم (كالقمطرى كزبعرى) قال العجيز السلولى:

سمين المطايا يشرب السور و الحسى قمطر كحواز الداجاج أعسر

و امرأة قمطرة :قصيرة عريضة عن ابن الاعرابى و أنشد:

وهبته من وثبى قمطرة مصرورة الحقوقين مثل الدبرة

(و) القمطر: (مايصان فيه الكتب) وهو شبه سفط يسف من قصب (كالقمطرة و

بالتشديد شاذ) وقال ابن الكيت :يقال بالتشديد و ينشد

ليس بعلم ما يعى القمطر ماالعلم الا وعاه الصدر

الجمع قماطر

(وذكر الجوهرى هذه اللفظة بعد "قمطر "وهم وهذا موضعه هكذا ذكره الصاغانى وقلده المصنف على عادته وقال البدر القرافى : أى فكأنه لم يذكر شيئا فلذا كتبها المصنف بالحمرة قال شيخنا :وهو وهم فانه ان تعرض لها لا يقال :كانه لم يذكرها واما الترتيب الذى اعتمده خلافه و لم يعبأ بالترتيب الذى يقصد المصنف صرفية و لذلك يدخل أحيانا بعض المواد قصدا للاختصار المصنف لم يطلع على أسراراصطلاحه فكلما نعقت له ناعقة صعقت لها صاعقةو ليس كذلك دأب المحققين فتأمل .قلت لا فرق بين ترتيب المصنف و الجوهرى كما يعلم من سياقهما وليس كما زعمه شيخناو الحق هنا بيد الصاغانى والمصنف فان ايراد الجوهرى هذه المادة بعد "قمطر " مما يوهم أن الميم زائدة أن أصلها "قطر" فالصواب أن يذكر فى موضعه و مظنه وهو امام أهل التحقيق ومثل هذا لم يكد يخفى عليه الا أنه سبق قلمه ولم يتروفيه .وقول شيخنا: الا دعت ضرورة الخ قلت و أى ضرورة أكبر من هذه فتأمل بالانصاف ودع سبيل الاعتساف.

(و) القمطر:المقطرة (التى تجعل فى أرجل الناس) نقله الصاغانى و قد تقدم "المقطرة " فى موضعه قريبا.(والقمطرى :مشية فى الاجتماع).

وفى التهذيب : من الاحاجى :ما أبيض شطرا أسود ظهرا يمشى قمطرا ويبول قطرا

؟هو القنفد.ويمشى قمطرا :أى مجتمعا .و كل شئ جمتعه فقد قمطرته .

(و قمطر اللبن) بالبناء على المجهول (و أخذه قماطر كعلابة :وهو خبث يأخذه من الانفخة) كذا نقله الصاغانى.(و كلب قمطر الرجل :به عقال من اعوجاج ساقيه) قال الطرماح يصف كلبا:

معيد قمطر الرجل مختلف الشبا شرنب شوك الكف شئن البراثن

(يوم قماطر كعلابة وقمطرير) و كذا مقمطر : مقبض ما بين العينين لشدته وقيل (شديد)غليظ قال الشاعر :

بنى عمنا هل تذكرون بلاء نا عليكم اذا ما كان يوم قماطرر

(و اقمطر) يومنا : (اشتد) قال الله عز و جل : أنا نخاف من ربنا يومنا قمطريرا .جاء فى التفسير أنه يعبس الوجه فيجمع ما بين العينين وهذا سائغ فى اللغة .وشر قمطرير:شديد.وقال الليث :شر قماطر و قمطر و أنشد:

و كنت اذا قومى رمونى رميتهم بمسقط الأحمال فقماء قمطر

(و) اقمطرت (العقرب :اجمعت) بنفسها (و عطفت ذنبها) فهى مقمطرة .

و قمطره : جمعه والمقمطر : المجتمع

(و) قمطر (الجارية) قمطرة : (جامعها و قمطر (القربة) قمطرة (شدها بالوكاء و قمطر القربة أيضا : ملاهاعن اللحيانى . .

☆مما يستدرك عليه ☆

ذئب قمطر الرجل : شديدها .وشر مقطر :شديد .واقمطر عليه الشئ :تزاحم .واقمطر

للشر :تهيا كاحرنبى واحرنفش وانتفش وازبأر قال ساعدة :

بنو الحرب أرضعنا بها مقمطرة

فمن يلق منا يلق سيد مدرب

ويقال : اقمطرت عليه الحجارة :اى تراكمت وأظلت .

وقمطر العدو هرب عن ابن الاعرابى .

يقال :اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها .

والمقطر :المنتشر

واقمطر الشئ :انتشر وقيل : تقبض كانه ضد .قال الشاعر :

قد جعلت شبوة تزبئر

تكسو استها لحما وتقمطر

و أبو الحسين محمد بن جعفر بن حمدان القماطرى :بغدادى حدث عنه الدارالقطنى.

وبالقاء النظرةالدقيقة على هذه النماذج يتضح لنا وضح النهار بأن السيد مرتضى أدى امانة علمية كبيرة بكتابة شرح القاموس وذلك لانه لم يكتف بشرح الكلمات فحسب كما كان المنهج السائد آنذاك بل أجاد حتى فاق اقرانه فى ايضاح الكلمات فى خلفياتها التاريخية والاجتماعية والسياسية وعلى هذا النحو جعل القراء فى غنى عن القواميس الآخرى.

١ـتقديم وتعريف تاج العروس : عبد الستار أحمد فراج

٢ـ عجائب الآثار :ص ١٠٦ . الجزء الثاني العلامة جبرتي

٣_Arabic Lexicography : page No 115 Jhon .A. Haywood

٤ـ عجائب الآثار :ص ١٠٥ . الجزء الثاني العلامة جبرتي

٥_Modern Arbic Literature(1800 -1970) :page No 154 Jhon .A. Haywood

٦ـمقدمة تاج العروس :ص ٢ . مرتضى بلكرامى

٧ـمقدمة تاج العروس :ص ٩ . مرتضى بلكرامى

٨ـمجلة "الكفاح" ١٦/اغسطس (١٩٨٣) "تاج العروس و مؤلفه السيد مرتضى الزبيدى البلكرامى"

٩ـنفس المصدر.

١٠ـ خطاب ابى الحسن الندوى (CIEFL) بعنوان "عربى زبان كى تحصيل ومهارت كا سب سغ طاقتور محرك اوراس كے محير العقول نتائج" (العوامل القوية لحصول اللغة العربية و البراعة فيها و نتائجها (البارزة) ١١/اكتوبر (١٩٨٢)

١١ـتقديم و تعريف تاج العروس ج ١ عبد الستار احمد فراج

المصادر والمراجع

الكتب العربية :

١ـأبو الحسن علي الحسني الندوي "المسلمون في الهند"المجمع العلمي الاسلامي ندوة العلماء لكناؤ ـالهند ـ الطبعة الثالثة (١٩٨٧ء)

٢ـابي بكر محمد بن حسن بن دريد " جمهرة العرب" ـدارالعلم للملايين ـبيروت (١٩٨٧)

٣ـابن منظور "لسان العرب " دار صادر (١٩٦٤ء)

٤ـأحمد حسن زيات "تاريخ الأدب العربي "دارالنهضة مصر للطبع و النشر الفجالة ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة والعشرون

٥ـأحمد عطية "القاموس الاسلامي " مكتبة النهضة المصرية الطبعة الاولى ـ ٩ـشارع عدلي ـالقاهرة (١٩٧٩ء)

٦ـأحمد أمين "ضحى الاسلام " مكتبة النهضة ـ القاهرة ـ الطبعةالخامسة

٧ـأحمد عبد الغفور عطار "مقدمة الصحاح " ـ دار العلم للملايين ـبيروت ـ(١٩٣٥)

٨ـأنيس فريحة "نحو عربية ميسرة " ـدارالثقافة (١٩٥٥)

٩ـاميل يعقوب "المعاجم اللغوية العربية ـبداءتها و تصورها" دارالعلم للملايين ـبيروت ـ الطبعة الثانية (١٩٨٥)

١٠ـجرجي زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية "مطبعة هلال بفجالة بمصر(١٩١٣)

١١ـخير الدين الزركلي "الاعلام ـقاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين " دارالعلم للملايين ـبيروت الطبعة السابعة ـ(١٩٨٦)

١٢ـزبير أحمد فاروقي "مساهمة دارالعلوم بديوبند في الادب العربي" دارالفاروقي دلهي الجديدة ـالطبعة الاولى ـ(١٩٩٠)

١٣ـ زبيد أحمد "الآداب العربية في شبة القارة الهندية " منشورات وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية .(١٩٧٨)

١٤ـعلي الطنطاوي "رجال من التاريخ" دمشق

١٥ـعبدالحئي "الاعلام"(نزهة الخواطر) "مكتبة ـدارعرفات دارة الشيخ علم الله رائي بريلي الهند (١٩٩٢)

١٦ ـعبد الحليم الندوى "مزاكر المسلمين التعليمية والثقافية فى الهند"مطبعةنورى المحدودة مدراس ـ الهند ـ (١٩٦٧)

١٧ ـعبد الحئى الكتانى "فهرس الفهارس" فاس ١٣٤٦هـ

١٨ ـعبد الرحمن الجبرتى "تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" دار الجبل ـ بيروت الطبعة الثانية (١٩٧٨)

١٩ ـعدنان الخطيب "المعجم العربى بين الماضى والحاضر" ـمطبعة النهضة الجديدة ـالقاهرة (١٩٦٧)

٢٠ ـ غلام على آزاد بلكرامى "سبحة المرجان فى آثار هندوستان" تحقيق الدكتور محمد فضل الرحمن الندوى السيوانى ـمعهد الدراسات الاسلامية ـجامعة عليكره ـعلى كره ـالهند ـ الطبعة الاولى (١٩٧٦)

٢١ ـمرتضى البلكرامى "تاج العروس" ـمطبعة حكومة الكويت (١٩٦٥)

الكتب الاردوية :

١ ـابو الحسنات الندوى "هندوستان كى قديم اسلامى درسگاه" مطبعة معارف اعظم كره ـالهند ـ (١٩٣٦)

٢ ـشيخ محمد اكرام "زود كوثر" مطبعة تاج ٦٩ نجف كره رود انڈسٹريل ايريا نئى دهلى

٣ ـعماد الحسن فاروقى(المرتب) "هندوستان مين اسلامى علوم و ادبيات" مكتبة جامعة لميٹد دهلى ـ(١٩٨٦)

٤ ـقاضى محمد اسلم سيف "تحريك اهل حديث ـتاريخ كي آئينه ميں" الكتاب انترنيشنل ـجامعه نگر نئى دهلى (١٩٩٦)

٥ ـمحمدسالم قدوائى "أحوال وأفكار" اداره علوم اسلامية على كره يونيورسٹى على كره (١٩٩٢)

الكتب الانجليزية :

1.Jawaharlal Nehru : "Disovery of India"

Jawaherlal Nehru Memorial Fund(1988)

2.John.A.Haywood:"Arabic Lexicography (Its History ,and its place in general history of lexicography" : LEIDEN.EJ.BERILL 1965

3.John.A.Haywood:"Modern Arabic Literature .(1800-1970)

المجلات:

١ـ مجلة المجمع العلمى الهندى ـ رجب(١٤٠٠هـ يونيو ١٩٨٠)على كره

٢ـ معارف ـ فرورى(١٩٢٧) اعظم كره

٣ـ برهان ـ فروى ((١٩٧٩)دهلى

٤ـ الكفاح ـ ١٦ اغسطس (١٩٨٣)

٥ـ البعث الاسلامى ـ ربيع الثانى (١٣٩٦) لكناؤ

مساهمات العلامة السيد مرتضى البلكرامى الزبيدى فى الدراسات العربية

المقدمة ١-٥

الباب الاول : الاوضاع الثقافية و الحضارية فى عصر العلامة السيد مرتضى البلكرامى الزبيدى ٨-٤٤

الفصل الاول : العلوم العربية فى عصر المغول

الفصل الثانى : المدارس و خدماتها فى تطوير اللغة العربية و آدابها فى الهند

الفصل الثالث: خلفية تاريخية لبلدة بلكرام

الباب الثانى : حياة العلامة السيد مرتضى البلكرامى ٤٧-٨٤

الفصل الاول :مولد العلامة و مكان ولادته

الفصل الثانى: التعليم الابتدائى

الفصل الثالث: الاساتذة

الفصل الرابع : انجازاته فى مجال اللغة والبيان

الباب الثالث:تاج العروس و القاموس المحيط "دراسة تحليلة ونقدية" ٨٧-١٢٨

الفصل الأول : نشأة المعجم العربى

الفصل الثانى : تاج العروس و القاموس المحيط "دراسة تحليلة ونقدية"

المصادر ١٢٩-١٣١

الفهرس ١٣٢

Jawaharlal Nehru University Library